المكذّبون بالدّين
أوصافهم وسلوكياتهم
(دراسة موضوعية)

د. نجلاء عبده محمد العدلي
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بكلية التربية-لاجامعة عين شمس

ملخص باللغة العربية

جاء القرآن الكريم بمنهج كامل متكامل، تتعاون فيه عقائده مع عباداته ومعاملاته؛ لهداية البشر، ومن يطبقه بإخلاص يجمع ما بين معالي الأخلاق وتمام الأعمال، التي تعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه.

والمكذبون بالدّين فضلا عن سوء اعتقادهم وتضييعهم لحقوق الخالق تعالى، تميزوا بصفات سيئة وسلوكيات غير قويمة، تتعارض مع المصلحة العامة للمجتمع؛ وبخاصة فئة الضعفاء الذين يحتاجون إلى الاحتواء والمعاونة؛ وذلك لتكذيبهم بيوم الحساب والجزاء.

ومما يؤسف عليه أن نجد عددا غير قليل من المنتمين إلى الدّين الإسلامي، بعيدين كل البعد عن المفهوم الحقيقي للإيمان؛ وذلك لعدم إخلاص نياتهم لله تعالى في عباداتهم، ولفساد معاملاتهم مع الأفراد والجماعات وتعديهم على حقوق غيرهم، وهذا هو الذي دفعني لكتابة هذا البحث، وهو تحذير أمثال هؤلاء المسلمين من تلك السلوكيات الخاطئة، التي تتعارض مع أصول الدّين، وتقربهم من صفات المكذبين بيوم الدّين، وإرشادهم إلى ضرورة ربط سلوكياتهم وعاداتهم بعقيدتهم.

وقد ركز هذا البحث على تناول أوصاف المكذّبين بالدّين وعقوباتهم، تم تناول أهم السلوكيات الاجتماعية للمكذبين بالدين في تعاملاتهم مع الناس، وأتممت البحث ببيان أهم تعاملات المكذبين بالدّين مع الله تعالى، وقد تمت معالجة البحث على ضوء الدراسة الموضوعية، التي تربط مباحث البحث ومطالبه بواقع المجتمع الإسلامي المعاصر ومستجداته، ومحاولة تقديم الحلول الرشيدة على مائدة القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: المكذّبون – الدّين – أوصاف - سلوكيات - دراسة موضوعية

Liars of the religion: their descriptions and behaviors (An objective study)

Summary in English

The Holy Qur'an has come up with a complete and integrated approach, in which its beliefs cooperate with its worship and dealings to guide human beings, and whoever applies it sincerely combines the excellence of morals and the completion of deeds, which benefit him and his society.

And those who lie in religion, in addition to their misbelief and their loss of the rights of the Creator, are characterized by bad qualities and improper behaviors, contrary to the general interest of society, especially the category of the weak who need containment and assistance.

It is regrettable that we find a lot members of the Islamic religion, far from the true concept of faith, because of their lack of sincerity of intentions to Allah Almighty in their worship, and for the corruption of their dealings with individuals and groups and encroaching on the rights of others, and this is what prompted me to write this research, which is to warn such Muslims of those wrong behaviors, which contradict the principles of religion, and bring them closer to the qualities of the liars on the day of judgment, and guide them to the need to link their behaviors and customs with their faith.

This research focused on addressing the descriptions of religious liars and their punishments, the most important social behaviors of religious liars in their dealings with people were addressed, and the research was completed by indicating the most important dealings of religious liars with Allah, may he be exalted. The research was processed in the light of the objective study, which links the research and its demands with the reality of contemporary Islamic Society and its developments, and an attempt to provide rational solutions at the table of the Holy Qur'an.

Key words: The liars – Religion – Descriptions – Behaviors - Objective study

المكذّبون بالدّين
أوصافهم وسلوكياتهم
(دراسة موضوعية)

د. نجلاء عبده محمد العدلي
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بكلية التربية-لاجامعة عين شمس

المقدمة

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، ونشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدّين، ولا نعبد إلّا إياه وبه نستعين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وصفوة الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى أن يأتينا اليقين، وبعـــــد:

فالقرآن الكريم نزل بمنهج كامل متكامل، تتعاون فيه عقائده مع عباداته ومعاملاته وتكاليفه الفردية والاجتماعية؛ لهداية البشر وتطهير قلوبهم في كل زمان ومكان، فتعاليم الدّين كلّ لا يتجزأ، ولا بد من تأديتها كلها بنية خالصة للخالق تعالى، ومن يطبقها بإخلاص يجمع ما بين معالي الأخلاق وتمام الأعمال، اللتان تعودان بالنفع عليه وعلى مجتمعه، ومن يضيعها أو يتهاون في أدائها يرجع إلى ربّه بذنب عظيم.

والمكذبون بالدّين فضلا عن سوء اعتقادهم وتضييعهم لحقوق الخالق تعالى، امتازوا بعدة سلوكيات غير قويمة، كفيلة بسقوط أيّ مجتمع؛ لتعارضها مع مصلحة المجتمع العامة؛ وبخاصة طبقة الضعفاء الذين يحتاجون إلى الاحتواء والمعاونة؛ وما ذلك إلّا لسوء خُلقهم، وكفرهم بيوم الحساب والجزاء.

ومما يؤسف عليه أن نجد عددا غير قليل من المتسمين بالإسلام اليوم، بعيدين كل البعد عن المفهوم الحقيقي للإيمان؛ وذلك لعدم إخلاص نيتهم لله تعالى في عباداتهم، ولفساد معاملاتهم مع الأفراد والجماعات، ولتعديهم على حقوق الآخرين، **الأمر الذي دفعني لكتابة هذا البحث** وهو **تحذير** أمثال هؤلاء المسلمين من الاستمرار في ممارسة تلك السلوكيات الخاطئة، التي تتعارض مع أصول الدّين، وتقربهم من صفات المكذبين بيوم

الدّين، **وتوجيههم** إلى ضرورة ربط سلوكياتهم وعبادتهم بعقيدتهم، فالإسلام لا تقتصر تعاليمه على أداء العبادات المفروضة فحسب؛ إنما يقوم على التراحم والتكافل في المعاملات، وعلى مكارم الأخلاق ومراعاة حقوق الآخرين، فالإيمان لا يمكن أن يكون حقيقيا إلا إذا وقر في القلب، وصُدِّق بالعمل الصالح.

ولقد حرصت على ربط مباحث البحث ومطالبه بما يحدث في المجتمع المعاصر؛ لتنبيه المسلمين إلى خطورة التخلق بسلوكيات المكذبين السيئة مع الخالق تعالى ومع مجتمعاتهم، وإرشادهم إلى المسارعة بالتوبة منها، والتكفير عمّا سلف قبل فوات الآوان.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما أعلم دراسات سابقة عالجت موضوع "المكذبين بالدّين" من خلال أوصافهم وتعاملاتهم الاجتماعية والدينية؛ لكن هناك بعض الدراسات التي تناولت سورة "الماعون" بالبحث، وسوف أذكر بعضها؛ لأن سورة "الماعون" احتوت على عدة صفات للمكذبين بالدّين، **ومن أهم تلك الدراسات:**

- **سورة الماعون دراسة بلاغية**، د. عبد القادر عبد الله فتحي، وهو بحث منشور بمجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، بمعهد إعداد المعلمات، بشنواي، بمحافظة المنوفية، عام (٢٠٠٩م)، وقد ركز البحث على بناء النص القرآني ودلالاته، مركزا على الإعجاز البلاغي للسورة.

- **الفوائد المستنبطة من سورة الماعون دراسة استقرائية**، د. طارق يوسف إسماعيل سليمان، وهو بحث منشور بمجلة الجامعة الإسلامية، فلسطين، غزة، عام (٢٠١٩م)، والبحث مكون من مبحثين: تناول المبحث الأول: مقاصد السورة وسبب نزولها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها من السور، وخصص المبحث الثاني لتفسير السورة تفسيرا إجماليا، مع بيان الفوائد المستنبطة من آياتها.

- **التفسير الاجتماعي لسورة الماعون**، د. محمد مجلي الربابعة، وهو بحث منشور بمجلة جامعة الأردن، عام (٢٠٢٠م)، وقد جاء البحث في مبحثين، تناول المبحث الأول:

مفهوم التفسير الاجتماعي ومنهجية البحث فيه والفرق بينه وبين المناهج الأخرى، ثم تحدث المبحث الثاني: عن أسس التفسير الاجتماعي، مع تطبيقها على سورة الماعون.

*** ودراستي تختلف عن الدراسات السابقة في:** تناولها للمقصود من المكذّبين بالدّين وأوصافهم وعقوبتهم، وفي التركيز على أهم سلوكياتهم الاجتماعية والدينية، مع ربط مباحث البحث ومطالبه بسلوكيات بعض المسلمين المعاصرين، للتحذير من خطورة تلك السلوكيات.

وتبعا لذلك فقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع، على النحو التالي:

المقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: (المكذّبون بالدّين أوصافهم وعقوباتهم)، وتضمن ثلاثة مطالب، وهي: المقصود من المكذّبين بالدّين، وأوصاف المكذّبين بالدّين، وعقوبة المكذّبين بالدّين.

المبحث الثاني: (السلوكيات الاجتماعية للمكذبين بالدين)، وتحدثت فيه عن أهم معاملات المكذّبين بالدّين الاجتماعية، وهي: الخوض مع الخائضين، ودعّ اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين، ومنع الماعون.

المبحث الثالث: (السلوكيات الدينية للمكذبين بالدين)، وتضمن الحديث عن أهم سلوكيات المكذبين بالدّين في تعاملاتهم مع الله تعالى، والتي من أهمها: السهو عن الصلاة، والمراءة، والاستهزاء بآيات الله تعالى.

الخاتمـــــة: ورصدت فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلبة العلم وسائر المسلمين، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. نجلاء عبده محمد العدلي

المبحث الأول

المكذّبون بالدّين أوصافهم وعقوباتهم

وسوف أتناول في هذا المبحث ثلاثة مطالب، وهي: المقصود بالمكذّبين بالدّين، وأوصاف المكذّبين بالدّين، وعقوبة المكذّبين بالدّين.

المطلب الأول: المقصود من المكذّبين بالدّين

المكذّبون في اللغة: جمع مكذّب، والمكذّب: خلاف المصدق، وهو الذي يخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع، أو: يخبر بشيء غير موجود، ويُقال فلان كذبه الحديث، إن تحدث بغير الصدق، ويُقال أيضا: كذبت فلاناً نفسه: أي حدَّثته نفسه بالأماني البعيدة(١)

والمكذّبون في الاصطلاح: الكافرون المعاندون، وكلمة "المكذّب" صفة لا تُطلق إلا على من كذّب بالحق، والمكذّبون هم الذين كذّبوا رسل الله عليهم السلام، وكذّبوا بيوم البعث(٢).

والدّين في اللغة(٣) مشتق من الفعل الثلاثي **"دَانَ"**، ويختلف معناه باختلاف ما يتعدى به، فأحيانا **يتعدى بنفسه** (فنقول: "دانه"، أي: ملكه وقهره)، وتارة **يتعدى باللام** (فنقول: "دان له" بمعنى: خضع واستسلم وانقاد)، وتارة **يتعدى بالباء** (فنقول: "دان به"، أي: اتخذه ديناً ومذهباً)، ومنه اشتق اسم الله تعالى الدَّيان، ومعناه: القهار فوق عباده، الحاكم بينهم.

وأصل معنى كلمة "الدّين" في اللّغة: الطاعة والانقياد لله تعالى؛ لذا سُميت "الشريعة" دينا، وقد جاءت كلمة "الدّين" على معان أخرى، **منها**(٤):

---

١) للمزيد راجع: لسان العرب (كذّب): ٢٥٤/١ و٧٠٤/١-٧٠٥، وراجع كذلك: المعجم الوسيط: ٧٨٠/٢-٧٨١

٢) راجع: معجم الفروق اللغوية: ٢١٤

٣) لمزيد من التفاصيل، انظر: لسان العرب: ١٦٦/١٣-١٧١، وانظر كذلك: القاموس المحيط: ١١٩٨

٤) لمزيد من التفاصيل، راجع: معجم مقاييس اللغة: ٣١٩-٣٢٠، وراجع كذلك: تاج العروس: ٥٣/٣٥-٥٨

- **المجازاة:** كقولهم: كَمَا تَدِينُ تُدان، أي: كمَا تُجازِي تُجازَى بمثل مَا عَمِلت، وعليه فيوم الدّين هو يوم الجزاء والحساب؛ لقوله تعالى: **"الَّذِينَ يُكذّبونَ بِيَوْمِ الدّين"**[المطففين: ١١]، أي: بيوم الحساب، ولقوله تعالى: "أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ"[الصافات: ٥٣].
- **التوحيد والإسلام والملة:** ومن ذلك قوله تعالى: **"إِنَّ الدّين عِندَ اللَّـهِ الْإِسْلَامُ"** [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: "هُوَ الَّذي أَرسَلَ رَسولَهُ بِالهُدى وَدينِ الحَقِّ"[التوبة: ٣٣].
- **الحُكم:** ومن ذلك قوله تعالى: **"كَذٰلِكَ كِدنا لِيوسُفَ ما كانَ لِيَأخُذَ أَخاهُ في دينِ المَلِكِ"**[يوسف: ٧٦].

مفهوم كلمة "الدّين" في الاصطلاح:

اختلفت الآراء وتعدّدت التعاريف حول المعنى الشرعي لمصطلح "الدّين"؛ فكل منهم يعرّفه حسب ما يرى أنه من أهم مميزاته(٥)، والذي يهمنا في هذا البحث هو **تعريف** علماء **المسلمين** لمصطلح "الدّين"، وقد كانت جلّ تعريفاتهم تدور حول اتباع شرع الله المنزل على رسوله محمد ﷺ في جميع نواحي الحياة: التّعبُديّة والعقدية والعملية، ومن أكثر تلك التعاريف ورودا عندهم أنه: "الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي"(٦)، فالدّين عندهم هو المستند إلى شرع الله تعالى، الذي أنزله على رسوله عن طريق ملك الوحي، دون تحريف أو تصحيف.

---

٥) فبعضهم عرّف الدّين من الناحية الأخلاقية، وبعضهم عرّفه من ناحية التفكر والتأمل، وبعضهم عرّفه بغير ذلك، وللمزيد من التفاصيل حول تلك التعريفات، راجع: الإنسان والأديان: ١٦-١٨، ولعل السبب في اختلاف التعاريف يرجع إلى أن كل ما يتعبد به الناس يُسمى دينا؛ وإن كان باطلا أو وثنيا، ويدل على ذلك قوله تعالى: **"وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"** [آل عمران: ٨٦]، وقوله تعالى: **"لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ"** [الكافرون: ٦]

٦) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ٩، ولعل من أكثر التعاريف الشاملة لمفهوم الدّين أنه: "اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلاً وحباً، رغبة ورهبة"؛ إذ يشمل هذا التعريف: تقديس المعبود، مع الخضوع التام لعبادته رغبة ورهبة؛ وذلك هو المرجو من العبادة، ولمعرفة المزيد انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ٩-١١

و تُطلق كلمة **"الدّين"** في **الاصطلاح** على: كل ما يؤمن به الإنسان، ويخضع لأوامره وتعاليمه خضوعا تاما، وهي كلمة جامعة شاملة لأصول الشرائع وفروعها(٧)، وعليه فيعرف "الدّين" اصطلاحا بأنه: كل "ما شرعه الله لعباده من أوامر ونواه وأحكام، سواء ما يتصل منها بالعقيدة أو الأخلاق أو الأحكام العملية"(٨).

ومن ثُمّ فمصطلح الدّين: يجمع في طياته جميع الأحكام والأوامر والنواهي، التي أنزلها الله تعالى على رسله وأمرهم بتبليغها للناس، فمن خضع لشرع الله ودان بدينه، وطبق أحكامه، عاش في نور الإيمان وهُدِي إلى سبل الخير والرشاد والسعادة في الدارين، ومن غفل عنها شقي في الدارين، يقول تعالى: **"وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى"** [طه: ١٢٤].

ومصطلح الدّين عند إطلاقه يُقصد به: **الدّين الإسلامي؛** لأنه الدّين الأوحد المنزل على البشر جميعهم بداية من آدم عليه السلام، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، فالدّين الذي أنزله الله تعالى على جميع رسله واحد(٩)، وهو الإسلام، وقد أُنزل عليهم بشرائع مختلفة(١٠)؛ لاختلاف زمان كل رسول ومكانه، وجميع الشرائع المنزلة كانت **متفقة في الأصول** الكلية الثابتة، كالتوحيد، وحفظ الضرورات الخمسة والأخلاقيات والعبادات والوعد والوعيد **ومختلفة في الفروع**، ثم جاءت الشريعة الخاتمة التي نزلت على نبينا محمد ﷺ، لتنسخ جميع الشرائع التي نزلت قبلها، وقد أطلق عليها "الشريعة الإسلامية"، وسُمِي أتباعها بالمسلمين؛ لأن الله تعالى حفظها من التحريف والتبديل؛ لتهيمن على كل ما كان قبلها من شرائع، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وفي ذلك يقول تعالى:

---

٧) انظر: الكليات: ٤٤٣

٨) الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٦/١

٩) ويؤكد ذلك أن كلمة "الدّين" لم تأت بصيغة الجمع في القرآن الكريم مطلقا؛ إنما جاءت بصيغة المفرد؛ لأن الدّين واحد، يقول المولى تعالى: **"إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ"** [آل عمران: ١٩]، ويقول تعالى: **"وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ"** [آلِ عمران: ٨٥]

١٠) لذلك يمكن استعمال كلمة "الشريعة" بصيغة الجمع، وقد صرّح القرآن الكريم بتعدد الشرائع في قوله تعالى: **"لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا"** [المائدة: ٤٨]، فالدّين ثابت والشرائع متغيرة تبعاً للظروف المناسبة لهداية البشر باختلاف المكان والزمان.

"وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ"[المائدة: ٤٨].

وللدّين أهميّة كبرى في حياة الأفراد والمجتمعات، فهو طريقهم إلى الهداية والاستقامة، وهو الذي يحفظهم من الشّهوات والزّلات، وهو ملجأهم من الهموم والجزع والاضطرابات، وبتطبيق تشريعاته ينعم الجميع بالعدل والمساواة، وهو الباعث على الرّاحة والطمأنينة، وتحقيق السّعادة في نفس الإنسان، وبه تُعمق الرّوابط الأسرية والاجتماعية، وتُعزز المعاني الأخلاقيّة على كافة المستويات، وهو الطّريق المستقيم الذي يهدي إلى الحق؛ لينعم المسلم في الآخرة بأعلى الدرجات(١١).

ويوم الدّين: هو اليوم الآخر(١٢)، وعلى ما في اليوم الآخر من الأهوال والدواهي ما لا غاية له؛ إلا أنه يُشتهر بيوم **"الجزاء"**؛ لأن الجزاء هو أهم ما يميزه؛ ولأن **الجزاء** هو: "أدهى تلك الدواهي وأهولها، وأنهم ملابسوه، وقد مضت بقية الدواهي"(١٣).

ويُعد التكذيب بيوم الدّين أعظم الجرائم على الإطلاق، وأكثرها فحشا، فالمكذّب بالدّين يجهل الحكمة من تشريع الشرائع، وينكر يوم البعث والحساب؛ إذ لو صدّق بيوم الدّين وما به من حساب ومحاسبة (بالثواب والعقاب) تصديقا تاما، لَمَا فعل المنكرات، ولَمَا أقدم على المعاصي، فعدم الإيمان **بيوم الدّين** هو أساس كل سوء، وهو الذي يجعل المجرم يستهين بكل أمر عظيم، ويقطع صلته بربه ويترك الصلاة، ويرتكب الموبقات؛ حتى يقسو قلبه، فنجده لا يرحم ولا يُطعم ولا يتصدق وينشر الفساد في الأرض، ويستمر المكذّب على ذلك إلى أن يموت محروما من الأجر، ومن الشفاعة التي جعلها الله

---

١١) لمعرفة المزيد عن أهمية الدّين ووظيفته في حياة الأفراد والمجتمعات، راجع: وظيفة الدّين في الحياة وحاجة الناس إليه: ٨٣-٩٦

١٢) وقد وردّ ذكر "اليوم الآخر" أربع عشرة مرة في القرآن الكريم انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٨٣/٢-١٨٤

١٣) روح المعاني: ١٤٧/١٥

للمذنبين من أهل التوحيد، الذين يعذبون بذنوبهم ثم يُشفع فيهم، فيرحمهم الله بتوحيدهم وبشفاعة نبيه، ويأمر بإخراجهم من النار، أمّا الكفار فليس لهم شفيع يشفع فيهم(١٤).

والشقي هو من يكذّب بالبعث والجزاء بعد أن علم أن الذي خلقه في أحسن تقويم من العدم، قادر على إعادة بعثه ومحاسبته، وقد استدل الرازي من قوله تعالى: **"وَكُنَّا نُكذّب بِيَوْمِ الدّين"** [المدثر: ٤٦] على أن "التكذيب سبب مستقل باقتضاء دخول النار، وإذا وجد السبب المستقل باقتضاء الحكم لم يجز إحالته على غيره"(١٥)، والله وحده هو الحاكم بين المكذّب بالدّين والمؤمن به، وهو تعالى أحكم الحاكمين القاضي بين عباده بالعدل(١٦).

المطلب الثاني: أوصاف المكذّبين بالدّين

اتصف المكذبون بالدّين بأسوأ الصفات وأحقرها، مما جعلهم ليسوا أهلا للطاعة، فهم أناس أنانيون مغرورون ظالمون لأنفسهم، لا يعظمون خالقهم، ولا يشعرون بالمسئولية تجاه خلقه، وقد ظلّوا على كفرهم وتكذيبهم تائهين في ضلالهم، فلم يستمعوا إلى وعظ رسلهم، ولا إلى تحذيراتهم المستمرة من هول يوم الجزاء؛ حتى جاءهم اليقين.

وقد كان المكذبون في صدر الإسلام يريدون أن يلين رسولنا الكريم لهم، فيسكت عن إظهار عيوب ما يعبدون؛ ليكفوا عن أذيته، وقد نهاه الله تعالى عن طاعتهم، وإن كان رسولنا الكريم نُهي عن طاعة صناديد الكفر في مكة؛ إلا إن هذا النهي عام في كل كافر تنطبق عليه تلك الصفات الذميمة، التي وصف الله تعالى بها المكذبين في قوله: **" فَلَا تُطِعِ الْمُكذّبينَ. وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ. وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ. أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ. إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ**

---

١٤) للمزيد انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨٨/١٩، وانظر كذلك: الكشاف: ٤/ ٦٥٥

١٥) المحصول: ٢٤٠/٢، ولمزيد من التفاصيل، انظر: التفسير الكبير: ٣٠٢/٣٢

١٦) ولعل هذا هو ما أشار إليه الماوردي حينما ذكر أن: من تأويلات التكذيب بالدّين: التكذيب بالعدل والقضاء، انظر: النكت والعيون: ٢٢٢/٦-٢٢٣

آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" [القلم: ٨-١٥](١٧)، وسوف أتحدث باختصار عن تلك الصفات التي وصف الله تعالى بها المكذبين؛ مبينة مدى خبث كل صفة منها(١٨):

- **حلّاف:** والحلّاف هو الذي يكثر الحلف بالباطل، وهذه صيغة مبالغة من الفعل "حلَفَ"(١٩)، وقد نهانا الله تعالى عن اعتياد الحلف؛ وإن كنا على حق؛ وفي ذلك يقول تعالى: **"وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ"** [البَقَرَةِ: ٢٢٤]، وكثرة الحلف من أول الصفات التي يتميز بها المكذّب وأشدها سوءا، فمن "أكثر الحلف قلت مهابته وكثر حنثه واتهم بالكذّب، ولا يكون الحلاف إلا كذابا، فهو على إهانته لاسم الله تعالى يفوته ما يريد من قبول قوله وتصديقه"(٢٠).
- **مهين:** والمهين: ضعيف الرأي والتمييز(٢١)؛ وقد سمّي المكذّبون بالدّين بذلك لقلتهم في الرأي والتمييز، ولحقارتهم عند الناس، والشيء المهين: هو الشيء القليل، وهو من المهانة على وزن فعيل(٢٢)، والمقصود به أن: الحلّاف بكذّبه هيّن حقير في نظر الناس.
- **هَمَّازٍ:** الهماز: المغتاب الذي يذكر الناس بالمكروه في غيابهم، وهو خلاف اللماز: الذي يغتاب الناس في حضرتهم(٢٣)، وقد توعد الله تعالى كلّا منهما بالويل، وذلك في قوله تعالى: **"وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لمزة"** [الهُمَزَةِ:١].

---

١٧) وقد اختلف المفسرون فيمن نزلت فيه تلك الآيات، فذكر بعضهم أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤، وقد رجح هذا القول أبو حيان، انظر: البحر المحيط: ٥٤١/١٠، بينما ذكر سائرهم أنها صفات عامة، تنطبق على كل مكذب، انظر: جامع البيان: ١٦٧/٢٣، ولعل هذا الرأي هو الراجح؛ لوجود من تنطبق عليه تلك الصفات في كل العصور وجلّ المجتمعات.

١٨) راجع آراء المفسرين حول تلك الصفات في: جامع البيان:١٥٥/٢٣-١٦٩، وراجع كذلك: مفاتيح الغيب: ٦٠٣/٣٠-٦٠٥، والجامع لأحكام القرآن: ٢٣١/١٨-٢٣٥،

١٩) انظر: عمدة الحفاظ: ٤٤٣-٤٤٤، وقد جاء قوله تعالى: {حَلاّفٍ، وهَمّازٍ، ومشَّاءٍ، ومنَّاعٍ} بصيغ المبالغة، للإشعار برسوخ تلك الصفات الذميمة فيهم، وباقترافهم لها بسرعة وشدة، انظر: الكشاف: ٥٨٦/٤

٢٠) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ٢٩٠/٢

٢١) انظر: عمدة الحفاظ: ١٢١/٤

٢٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤١٥/٤

٢٣) انظر: عمدة الحفاظ: ٢٥٩/٤

- **مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ:** والمشاء النميم هو الذي يمشي بين الناس بالنميمة، أي يسعى للوشاية بينهم بنقل الحديث المؤذي؛ بغية الإفساد بينهم، وأصل النميمة الهمس والحركة الخفيفة(٢٤).

مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ: البخيل الضنين بالمال عن حقوق الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة؛ فضلا عن منعه الشديد لكل ما فيه خير لمن يستحقه، وبخاصة إن كان من المؤمنين، أي لا ينفق ماله في وجوهه، هذا وقد روي عن ابن عباس أن المقصود من قوله تعالى: **"مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ"**: الذي يمنع ولده وعشيرته عن الدخول في الإسلام بأن يقول لهم: لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدا(٢٥)، فهو بذلك مَنَّاعٍ لخير الإسلام عن أهله.

مُعْتَدٍ أَثِيمٍ: أي: بليغٍ في تعاطي أسبابِ الإثمِ، متجاوز للحد في العدوان على الجميع(٢٦)؛ وذلك لأنه اعتدى على الله تعالى بالشرك، وعلى الرسل بالتكذيب، وعلى الناس بالاعتداء على (دمائهم وأموالهم وأعراضهم).

والمعتدي إثمه كبير لكثرة تناوله للمحرمات، وتجاوزه للحدّ في القبائح، فلم يترك سيئة إلا وارتكبها، فهو بليغٍ في تعاطي أسبابِ الإثمِ **[فالأثيم**: صيغة مبالغة للإثم على وزن فعيل**]**، وقد توعد المولى عز وجلّ الإنسان الأثيم بالطعام الخبيث في النار، ويؤكد ذلك قوله تعالى: **"إن شجرة الزقوم طعام الأثيم"** [الدخان: ٤٣-٤٤].

- **عُتُلٍّ:** والعتل هو الفظ الغليظ شديد الخصومة، الذي لا ينقاد لخير(٢٧)، وقد اختلف المفسرون في المقصود بهذا الوصف على قولين، **أولهما**: أنها صفة ذم في الخَلْقِ،

---

٢٤) انظر: عمدة الحفاظ: ٢٢٤/٤

٢٥) ويُقال إن: هذه الآية **نزلت** في الوليد بن المغيرة، وكان له عشرة من البنين، وكان يقول لهم: لئن تبع دين محمد منكم أحد لا أنفعه بشيء أبدا، فمنعهم الإسلام، فهذا هو الخير الذي منعهم، وقيل إنها **نزلت** في أبي جهل، وقيل: **نزلت** في الأخنس بن شريق، انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٤/٤، وانظر كذلك: مفاتيح الغيب: ٦٠٤/٣٠، وإن كانت الآية نزلت في بعض المشركين، إلا أن حكمها عام في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، راجع: تفسير السعدي: ٨٧٩

٢٦) انظر: عمدة الحفاظ: ٦٣/١

٢٧) انظر: عمدة الحفاظ: ٢٨/٣

ويكون المقصود بالعتل: القوي الضخم، واسع البطن. **والقول الآخر**: أنها صفة ذم في الخُلُقِ، ويكون المقصود بالعتل: الفاحش الشرير، لئيم النفس، شديد الخصومة، الفظّ العنيف.

- **زَنِيمٍ:** والزنيم هو الذي ليس من القوم؛ ولكنه يَدّعِي أنه منهم، ويلصق بهم (كزنمتي الماعز التي تعلق في عنقها؛ لتعرف بهما لكنهما في الأصل ليسا منها)، فالمكذّب جعل الله عليه علامة يّعرف بها أنه لصيق في قومه(٢٨)، و**"الزنيم"** في اللغة: ولد الزنا الذي يلحق بالقوم في النسب وهو في الأصل ليس منهم، ويرى كثير من المفسرين أن المقصود بالصفات المذكورة في الآيات السابقة هو: **الوليد بن المغيرة**، فهو الزنيم الذي كان دَعِيًّا في قريش وليس منهم، ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة [ليلة] من مولده. وقيل: إن أباه بغى بأمه، ولم يعرف الوليد ذلك حتى نزلت هذه الآية، **ويُقال** إن **الوليد** كان يُعْرَف بِالفحش والشَّر واللُّؤم كَما تُعْرَفُ الشّاةُ بِزَنَمَتِيها(٢٩)، وإلى ذلك فقد كان **الوليد** مجترئا على كل معصية، خبيثا كخبث نطفته، وقد ساعده على كل هذا التجبر والكفر: كثرة ماله وبنيه.

*** بينما يرى آخرون** أن الصفات المذكورة في الآيات السابقة عامة، لم يُقصد بها شخص بعينه، فكل من اتصف بهذه الصفات منهي عن طاعته، ويؤكد هذا الرأي قوله تعالى **"ولا تُطِعْ كُلَّ"**، فلفظ **"كل"** يشير إلى أن هذه الصفات ليست مقصورة على شخص بعينه، إنما يدخل في دائرتها كل اتصف بهذه الصفات، وعليه فلفظ "الزنيم" لا يقتصر معناه على إنسان نُسب إلى غير أبيه، أو دُعي إلى غير قومه؛ بل يتسع ليشمل كل إنسان اتصف بالصفات الخبيثة السابقة، وتوغلت فيها؛ حتى أصبح بعيدا عن كل معنى من معانى الإنسانية؛ "وبذلك يصبح وجوده في الناس، وجودا غير شرعي، ويكون انتماؤه إليهم انتماء الأدعياء إلى غير آبائهم"(٣٠)، وهكذا يخرج المكذّب من

---

٢٨) انظر: عمدة الحفاظ: ١٤٩/٢

٢٩) لمعرفة المزيد حول وصف الوليد بالزنيم، انظر: مفاتيح الغيب: ٦٠٤/٣٠-٦٠٥

٣٠) التفسير القرآني للقرآن: ١٠٨٧/١٥-١٠٨٨

عالم الإنسانية، ويصير زنيما، أي دعيّا في نسبه إلى الإنسانية، ولعل هذا هو الرأي الراجح؛ وإن كان بعض المفسرين ذكروا أن الآيات السابقة نزلت في الوليد بن المغيرة، فربما قصدوا أن **الوليد** اجتمعت فيه الصفات الذميمة السابقة جميعها، فصار نموذجا يُضرب به المثل في هذا المقام.

* ولا شك أن من تتوفر فيه الصفات السابقة؛ لا بدّ أن يكون من الطغاة، المتكبرين عن قول الحق، الجاحدين بأنعم الله، ومن ثَمّ فهو من الآثمين الناكرين لآيات الله تعالى البينات، يقول تعالى: **"إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ"** [المطففين: ١٣].

والتكذيب بيوم الدّين هو منشأ كل جريمة، فإذا نظرنا إلى صفات المكذّبين السابقة نجدها تجمع بين جميع الصفات السيئة التي يمكن أن تكون في مجتمع بأسره؛ فما بالنا إذا وجدناها مجتمعة في فرد واحد، أو عدد محدود من الأفراد؛ إذ إن صفة واحدة فقط من تلك الصفات، كفيلة بأن تجمع حولها جلّ الصفات الذميمة، التي تخرج صاحبها من عالم الإنسانية السمحة، وتهوي به في دائرة الشرك والنفاق؛ **فبحسب المكذّب** بالدّين أنه يساوي بين القرآن الكريم الذي هو كلام الله، وكلام البشر الموضوع، فكلما تُليت عليه آيات الرحمن **كذّب بها منكرا** ما بها من بلاغة وحقائق عالية وحكم، زاعما أنها من أساطير الأولين وقصصهم المختلقة، وقد كان ممن يقولون بذلك **النضر بن الحارث،** الذي كتب قصتي رستم وإسفنديار (اللتين تتحدثان عن الصراع بين الخير والشر)، اللتين وجدهما في بلاد الحيرة، وكان يحدث بهما في مكة ويقول: أنا أحسن حديثا من **محمد،** فإنما يحدثكم بأساطير الأولين؛ التي حفظها من القصاص، الذين كانوا يقرؤونها عليه بكرة وأصيلا ليحفظها؛ لأنه أميّ لا يقدر أن يكتب(٣١).

المطلب الثالث: عقوبة المكذّبين بالدّين

عاقب المولى تعالى المكذبين بالدّين بعقوبات عديدة، بعضها في الدنيا، وبعضها مؤجل إلى يوم الحساب، ومن أهم تلك العقوبات:

- تغليف قلوبهم بالران

فالمكذّبون بالدّين نالوا غضب الله عليهم بسوء أعمالهم وخبث صفاتهم وفساد نياتهم؛ إذ استمرأوا الكفر وفعل المنكرات بلا توبة أو تأنيب ضمير، حتى تبلد حسهم وطُمست

(٣١) انظر: التحرير والتنوير: ١٩٨/٣٠، وراجع كذلك: تفسير القرطبي:٤٠٥/٦

بصائرهم، وغُلِفت قلوبهم **بالران** جزاء إثمهم ومعاصيهم، وفي ذلك يقول المولى تعالى: **"وَمَا يُكذّب بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُون"** [المطففين: ١٢-١٤]، ويقول تعالى: **"بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ"** [البقرة: ٨١]، فكلما أذنب الرجل منهم ذنبا، أحاط الذنب بقلبه وعَلّم عليه بنكتة سوداء؛ فإذا كثرت منه المعاصي والذنوب، أحاطت تلك النكت السوداء بقلبه حتى يسود كله، فذلك هو الرين عليه، **وقد ذكر مجاهد** أن القلب مثل الكف، ورفع كفه قائلا: إذا أذنب العبد ذنبا ضمّ أصبعا، فإذا أذنب مرة ثانية ضمّ أصبعا ثانيا، وهكذا حتى ضمّ أصابعه كلها، ثم يطبع عليه بطابع، وهذا هو الران، الذي يحيط بالقلب(٣٢)، وقد قيل: إن العبد إذا أذنب صار في قلبه كوخزة الإبرة، وإذا أذنب مرة ثانية صار كذلك، حتى إذا كثرت ذنوبه صار قلبه كالمنخل، أو كالغربال لا يعي خيرا ولا يثبت فيه صلاح(٣٣).

والمقصود ب "الران": الغلب والتغطية، وهو صدأ يعلو الشيء الجليّ، ومنه قوله تعالى: **"كَلاّ بَلْ رَانَ على قُلُوبِهِم"**، أي: غمرتهم الذنوب والمعاصي وغطت على قلوبهم؛ لكثرتها وتكررها، فالذنب على الذنب يُعمي القلب حتى يسوده ويميته ويُقال: ران على قلبه رَيْنَة ورَيْنًا ورُيُونا، أي: غلب وعلا عليه "وصار ذلك كصَدَإٍ على جِلاءِ قلوبهم فعَمّى عليهم معرفة الخير من الشرّ"(٣٤)، ويؤكد ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ"**(٣٥).

---

٣٢) لمعرفة المزيد انظر: جامع البيان: ٢٨٧/٢٤، وانظر كذلك: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/١٩

٣٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٠/١٩

٣٤) بصائر ذوي التمييز: ١١٥/٣، وانظر كذلك: المفردات في غريب القرآن: ٣٧٣، ولسان العرب: ١٦٣/١٢، و٢٦٠/١٩

٣٥) سنن الترمذي: ٣٥٩/٥، كتاب (تفسير القرآن)، باب (ومن سورة "ويل للمطففين")، حديث رقم (٣٣٣٤)، والحديث حسن صحيح حسنه

وقد شبه الرسول الكريم القلب في الحديث السابق بالثوب الأبيض النقي، وشبه المعصية بالشيء الأسود الحالك، الذي يصيب القلب الأبيض بالنكتة السوداء، التي لا تنزع منه إلا إن تاب من ذنبه وبادر بالاستغفار؛ وبذلك يصقل قلبه ويعود نقيا كما كان، أمّا إن تكبر العبد ولم يتب، واستمر في الذنوب والمعاصي، زادت تلك النكتة السوداء في قلبه حتى غطته؛ وبذلك ينطفئ نوره وتعمى بصيرته(٣٦)، وهذا عين ما يحدث مع المكذّبين، الذين غلبت ذنوبهم على قلوبهم فغشيتها وطبعت عليها ودنستها بالمعصية، وبالغفلة عن خالقهم وعن أحكام الدّين القويم.

وبعد فهذه هي عقوبة المكذبين في الدنيا، أمّا عن جزاء المكذّبين بالدّين في **الآخرة،** فقد توعّدهم الله تعالى بأعظم العقوبات وأكثرها شدة، **وسوف أتحدث عن تلك العقوبات مبينة مدى شدتها** وتنوعها، وهي:

- **لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة**

فالمكذّبون بلقاء الله تعالى وبآياته الدالة على صدق رسله، المتكبرون عن الإيمان بدينه وتصديق رسله، لا تفتح لأعمالهم أبواب السماء، ولا يجدون رحمة في الآخرة، لقوله تعالى: **"إِنَّ الَّذِينَ كذّبوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ"**(٣٧)[الأعراف: ٤٠]، فالآية السابقة تشير إلى أن المكذبين بالدين سيعاقبهم الله تعالى يوم القيامة **بعقوبتين: الأولى:** عدم قبول عملهم لعدم صعوده إلى السماء، فأعمالهم وأقوالهم تصبح لا خير فيها كالهباء المنثور؛ لفقدها شرط الإيمان، والله تعالى لا يُرفع إليه إلا الكلم الطيب والعمل الصالح؛ لذا فهم آيسون من كل رحمة وخير. **والأخرى:** حرمانهم من دخول الجنة؛ لتكذيبهم وتكبرهم.

---

٣٦) للمزيد، انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ١٧٨/٩

٣٧) انظر تفسير الآية في: جامع البيان: ١٨٢/١٠

وهذا الحكم عام في جميع الكفرة والمكذّبين: قديمهم وحديثهم، فهم لا يدخلون الجنة أبدا لثقل أوزاهم؛ إذ لا وِزْر أثقل من الكفر؛ لذا علق الله تعالى دخولهم الجنة على أمر يستحيل حدوثه، وهو أن يدخل الجمل في سم الخياط(٣٨)؛ وذلك حتى ينقطع لديهم كل خيط من خيوط الأمل الواهية، التي قد ينسجونها من أوهامهم؛ ليمنوا أنفسهم بالخلاص مما هم فيه من كرب وبلاء، والحقيقة أنهم لن يخلصوا منهما أبدا، ولن يخرجوا من النار؛ نتيجة ظلمهم لأنفسهم وللآخرين(٣٩).

وقد استدل الرازي من الآية السابقة على أن: "السماوات موضع بهجة الأرواح وأماكن سعاداتها ومنها تنزل الخيرات والبركات وإليها تصعد الأرواح حال فوزها بكمال السعادات ولما كان الأمر كذلك كان قوله: لا تفتح لهم أبواب السماء من أعظم أنواع الوعيد والتهديد"(٤٠).

- **الخلود في النار مع العذاب الدائم:**

فالمكذّبون بالدّين هم أصحاب العذاب الدائم في النار، مخلدون فيها أبدا، وذلك لقوله تعالى: **"وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكذّبواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"** [البقرة: ٣٩]، وقوله تعالى: **"وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكذّبوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ"**[الحديد:١٩]، وقوله تعالى: **"وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكذّبوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالدّين فِيهَاۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"**[التغابن:١٠]، ففي الآيات السابقة دليل صريح على خلود المكذّبين في النار، فصاحب الشيء هو المقترن به في حالة ما، وفي زمان ما، وكمال الصحبة تعني الملازمة الدائمة والخلطة، وهكذا صحبة أهل النار نجدهم ملازمين لها، كملازمة

---

٣٨) وللعلماء في المقصود ب (الجمل) قولين: الأول: أن الجمل هو ذكر الناقة، وهو حيوان ضخم يستحيل دخوله في ثقب الإبرة، وهي آلة الخياط، والآخر: أن المقصود ب (الجمل): حَبْل السفينة، وهو حبل غليظ جدا يستحيل دخوله في سم الخياط الذي هو من أضيق الأشياء، انظر: لسان العرب: ٢٩٣/٢، و١٢٣/١١، وفي الحالتين يصبح دخول هؤلاء المكذّبين الجنة معلقا على أمر مستحيل، وتعليق الأمر على مستحيل إشارة إلى استحالة حدوثه، انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ٨٥٠

٣٩) انظر: المحرر الوجيز: ٤٠٠/٢، وانظر كذلك: التفسير القرآني للقرآن: ٣٩٩/٤

٤٠) مفاتيح الغيب: ٢٤٠/١٤

الصاحب لصاحبه، خالِدُون فيها لا يموتون ولا يخرجون منها(٤١)، وهذا هو جزاء المكذّبين؛ لجحدهم وتكبُّرهم على العمل بما جاءتهم به رسلهم، فأولئك سيمكثون في الجحيم(٤٢) أبدًا، فما أقبح مصيرهم!!!.

ومع خلود هؤلاء المكذّبين في النار، يكون عذابهم شديدا دائما حاضرا محيطا بهم في كل وقت وحين، لا يفتر ولا يخفف عنهم هم وآلهتهم، التي كانوا يدعونها من دون الله تعالى، وفوق ذلك سينالون عذابا آخر معنويا، وهو تأجيل دخولهم النار إلى أن يروا أهل الجنة وهم منعمون في روضة الله تعالى وثوابه؛ حتى لا يظن هؤلاء الكافرين المكذّبين أن الجميع في العذاب مشتركون؛ لذا قدّم الله ثواب الصالحين على عقابهم؛ ليزيد في إيلامهم(٤٣)، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: **"فَأَمَّا الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكذّبوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ"** [الروم: ١٥-١٦].

- **عذابهم في النار مهين**

والعذاب المهين: هو العذاب الشديد المذل المخزي، الذي لا مثيل له ولا عديل(٤٤)؛ وذلك لأنهم أهانوا الحق بإيثارهم الباطل عليه، وأهانوا الرسل، واستهانوا بالآيات البينات؛ تكبرا وغرورا، فأهانهم الله تعالى وأعد لهم عذابا مؤلما أبديا في الآخرة(٤٥)، فالجزاء من جنس العمل، وفي ذلك يقول الله تعالى: **"وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكذّبوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ"** [الحج: ٥٧].

---

[٤١]) للمزيد انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٠/١، وانظر كذلك: مفاتيح الغيب: ٤٧٣/٣

[٤٢]) والجحيم نار على نار وجمر على جمر، وجاحم الحرب أشد موضع فيها، ويقال لعين الأسد جحمة لشدة توقدها، انظر: معجم الفروق اللغوية: ٢٧٨

[٤٣]) للمزيد راجع: مفاتيح الغيب: ٨٥/٢٥، وقد اختلف العلماء في المقصود من قوله تعالى "محضرون"، على حين جاءت اختلافاتهم بمعان متقاربة، المراد منهم بيان شدة عذاب هؤلاء الكافرين المكذّبين، الذي لا يغيب عنهم ولا يخفف، للمزيد، راجع كذلك: جامع البيان: ٥٤١/١٨

[٤٤]) راجع تفسير الآية في: الجامع لأحكام القرآن: ٦١٨/١٦، وراجع كذلك: النكت والعيون: ٣٧/٤

[٤٥]) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧٦/١٣

ولعل هذا هو الفرق بين عذاب المؤمن العاصي، وعذاب المكذّب الكافر، فالله تعالى يعذب المؤمن العاصي بعذاب غير مهين؛ ليطهره من ذنبه، ثم يعفو عنه ويكرمه بدخول الجنة، أمّا المكذّب الكافر فعذابه مهين؛ لأن الهدف منه الإذلال والتحقير والخزي الدائم، والإهانة تقتضي الشدة.

ولعل في وصف العذاب بالمهين: "إشارة إلى أمر يفهم منه الدوام، وذلك لأن الملك إذا أمر بتعذيب عبد من عبيده، فالجلاد إن علم أنه ممن يعود إلى خدمة الملك ولا يتركه الملك في الحبس يكرمه ويخفف من تعذيبه، وإن علم أنه لا يعود إلى ما كان عليه وأمره قد انقضى، فإنه لا يكرمه"(٤٦).

- **أماكن وجودهم في النار:**

أمّا عن أماكن وجود المكّذبين في النار، فقد ذكر الله تعالى أنهم يعذبون في أماكن خاصة بهم في نار جهنم، وقد ذكر الله تعالى من هذه الأماكن:

أ- **سقر**: يقول تعالى متهكما منهم: **"مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ. وَكُنَّا نُكَذِّب بِيَوْمِ الدِّين"** [المدثر: ٤٢-٤٦]. **وسقر:** اسم من أسماء جهنم، وهو أحد طبقاتها السبعة، والصحيح أنه الطبق الأول من جهنم، وكلمة **"سقر"** في **اللغة** تعني: تغيير اللَّون، يُقال سَقَرَته الشَّمسُ وصقرته: لَوَّحَتْهُ وأذابته، وسقرات الشمس: حرورها، فالسين والقاف والراء أصل يدل على إحراق أو تلويح بنار، وسُميت تلك الطبقة من النار ب"سقر"؛ لأنها تذيب الأجسام والأرواح(٤٧).

ب- **الويل**: والوَيْل وادٍ حار من صديد في جهنّم، لو سيرت فيه الإبل لذابت وسالت من شدة حره، ولو أرسلت فيه الجبال لماعت قبل أن تبلغ قعره من شدة حره(٤٨)، وقد

---

٤٦) مفاتيح الغيب: ١١٥/٢٥-١١٦

٤٧) للمزيد، انظر: لسان العرب: ٤/ ٣٧٢، وراجع كذلك: المفردات في غريب القرآن: ٤١٤، وبصائر ذوي التمييز: ٢٢٩/٣

٤٨) لمعرفة المزيد، راجع: لسان العرب: ٦٣٩/٢، و٣٤٤/٨، وانظر كذلك: المفردات في غريب القرآن: ٨٨٨

وصفه رسولنا الكريم بقوله: **"الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ"**(٤٩).

والويل: كلمة تُقال لكل من وقع في هلكة وعذاب، وتُستعمل مُقترنة بـ (أل) أو مُجرّدة منها.

وقد توعد الله تعالى ب "الويل" كلا من: (المحرف لكلام الله، والمكذّب، والكافر، والأفاك الأثيم، والظالم الطاغي، والمصلي الساهي عن صلاته، والمطفف الذي يبخس حق الناس، والهماز اللماز الذي يغتاب الناس)؛ وذلك لعظم ذنوبهم، في حق الله تعالى أو في حق الناس، ويؤكد ذلك قوله تعالى: **"فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ"** [البقرة: ٧٩]، وقوله تعالى: **"وَوَيْلٌ لِلْكافِرِينَ"** [إبراهيم: ٢]، وقوله تعالى: **"وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ"** [الجاثية: ٧]، وقوله تعالى: **"فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا"** [الزخرف: ٦٥]، وقوله تعالى: **"فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكذّبينَ"** [المرسلات: ١٩]،، وقوله تعالى: **"فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ"** [الماعون: ٤، ٥]، وقوله تعالى: **"وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ"** [المطففين: ١]، وقوله تعالى: **"وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ"** [الهمزة: ١].

وعليه فالله تعالى **لم يقصر الويل** على الكافرين المكذّبين؛ لكنه توعد به بعض المسلمين، الذين يتصفون بصفات خبيثة تصيب مجتمعاتهم بآفات اجتماعية عديدة، فالذي دأبه التطفيف قد يكون مسلما، والهماز اللماز قد يكون أيضا مسلما، وكذلك الذي يصلى ويتعمد السهو عن صلاته، فهؤلاء جميعهم قد يكونون مسلمين؛ لكنهم ضلوا الطريق، ووقعوا في معاصي كفيلة بفتك أي مجتمع؛ لذا توعدهم الله تعالى بالويل؛ إن لم يتوبوا ويقلعوا عن تلك الذنوب الفتاكة، وعلى المجتمع الإسلامي كله التصدي لهم؛ حتى لا يعمه البلاء.

[٤٩]) المستدرك على الصحيحين: ٥٥١/٢، كتاب (التفسير)، باب (تفسير سورة "المدثر")، حديث رقم (٣٨٧٣)

المبحث الثاني

السلوكيات الاجتماعية للمكذبين بالدّين

وسوف أتناول في هذا المبحث أهم السلوكيات التي تمثل في مجموعها كيفية تعامل المكذّبين بالدّين مع مجتمعهم، وقد اكتفيت بذكر سلوكياتهم التي ذكرت في القرآن الكريم، وهي: (الخوض مع الخائضين، ودعّ اليتيم، وعدم الحضّ على إطعام المسكين، ومنع الماعون)، وسوف أتحدث عن كل صفة من تلك الصفات مبينة مدى تأثيرها في هدم المجتمعات، وقتل معاني الإنسانية:

أولا: الخوض مع الخائضين

و**الخوض** في الأصل اللغوي: يُطلق على ابتداء الدخول في الماء والمرور فيه، يُقال: خاض البحر يخوضه إذا دخل فيه، ثم استعير للدخول في الحديث، يُقال: فلانٌ يخوض أي يتكلم بما لا ينبغي، ويغلب ذكره على الرديء من الكلام(٥٠)، وأكثر ما استعمل في القرآن للطعن في آيات الله تعالى على سبيل الاستهزاء، أي: الكلام بالقول الباطل والزور في آيات الله تعالى(٥١).

والمقصود ب "الخوض مع الخائضين": انغماس هؤلاء المكذبين مع الكفار أمثالهم، ومخالطتهم في قول: الباطل والزور والفساد؛ دون اكتراث منهم أَو مبالاة؛ إذ كانوا يقولون: "كُلَّمَا غَوَى غَاوٍ غَوَيْنَا مَعَهُ"(٥٢)، ومن ذلك خوضهم مع الخائضين في أمر نبينا محمد ﷺ، فقالوا عليه: كاهن وساحر وشاعر؛ لذا استحقوا العذاب المهين في "سقر" ؛ لأنهم لم يتحرجوا من الفحش في أقوالهم وأفعالهم، ولم ينتهوا عن معاودة فعل المنكر وقوله؛ بل كانوا يصرون على المداومة على ذلك مع أهل الغواية والضلالة أمثالهم؛ ليقعوا جميعا فيما حرّمه الله من قول وفعل، غير مبالين بيوم الحساب، الذي هو يوم الجزاء العادل لكل إنسان على عمله.

---

٥٠) انظر: عمدة الحفاظ: ٥٣٩/١

٥١) انظر: مفاتيح الغيب: ٢٢/١٣، وانظر كذلك: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٤٧/١٥

٥٢) جامع البيان: ٤٥١/٢٣، ولمعرفة المزيد، راجع: جامع البيان: ٣٧/٢٤، وراجع كذلك: النكت والعيون: ١٤٨/٦

والخوض مع الخائضين: من أعظم الذنوب إثما يوم القيامة؛ لأن أكثر كلام الخائضين يكون في الغيبة والنميمة وغيرهما من فحش القول؛ لذا حذرنا رسولنا الكريم من الخوض فيما لا يعنينا بوجه عام، وذلك في قوله ﷺ: **"أكثر الناس ذنوبًا يومَ القيامةِ: أكثرهم كلامًا فيما لا يَعْنِيه"**(٥٣)، أي أن الذي يشغل نفسه بكثرة الكلام فيما لا يعود عليه ولا على غيره بالنفع، هو من أكثر الناس ذنوبا يوم تكشف الحقائق، ويُجازى كل إنسان على فعله، ولا يخفى ما في الحديث السابق من حثّ على البعد عن الثرثرة، وقصر الكلام على كل ما هو نافع ومفيد، فالوقت ثمين يجب أن ينفق في كل ما هو غال.

هذا وقد حذرنا الله تعالى من مصاحبة هؤلاء الخائضين أو الجلوس في مقعدهم؛ وبخاصة إن كان خوضهم يشتمل على أحاديث الكفر والاستهزاء بآيات الله تعالى(٥٤)؛ لأن من يرضي بفعلهم أو يسكت عنه، يكون شريكا معهم في الإثم، وإلى ذلك فإن الخوض بالباطل مع الخائضين من أسباب استحقاق العذاب في "سقر"؛ لقوله تعالى على لسان أهل "سقر": **"مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ. وَكُنَّا نُكَذِّب بِيَوْمِ الدّين"** [المدثر: ٤٢-٤٦](٥٥)، فكل من اتصف بالصفات الأربعة المذكورة في الآيات السابقة، يستحق تلك الدركة من النار، إلا إنه ليس من اللازم أن تكون هذه المآثم جميعها مجتمعة في كل أهل "سقر"، فقد يكون منهم من تجتمع فيه هذه المآثم كلها، وقد يكون فيهم من تلبسّ بمأثم واحد منها فقط

---

٥٣) جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»: حديث رقم (٤٠٣٢)، ١/ ٧٨٣، وقد ضعّف هذا الحديث الألباني، بينما يرى المناوي أن: هذا الحديث حسن؛ لتعدد طرقه، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٢/٨١-٨٢

٥٤) ويؤكد ذلك قوله تعالى: **"وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم"** [نساء: ١٤٠]

٥٥) وقد أخر الله تعالى صفة "التكذيب بيوم الدّين"، على الرغم من أنها أفحش الصفات الأربعة؛ لأن من اتصف بالصفات الثلاث السابقة الورود، كان من المكذّبين بيوم الدّين، والغرض من تأخير هذا الذنب تعظيمه، انظر: مفاتيح الغيب: ٣٠/٧١٦، ولعل سؤال المجرمين عن سبب وجودهم في "سقر" ليس سؤالا حقيقيا؛ لأنهم يعرفون سبب وجودهم في "سقر"؛ إنما أريد بسؤالهم التوبيخ والتحسير؛ "وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين"، الكشاف: ٤/٦٥٥، وانظر كذلك: مفاتيح الغيب: ٣٠/٧١٦

أو أكثر، وعلى هذا يمكن أن تكون إجاباتهم تلك مشاعة فيما بينهم، كما يمكن أن يكون لكل أهل مأثم جوابهم الذي كشفوا به عن سبب عذابهم في "سقر"(٥٦).

ولعل الإصرار على تكرار السلوكيات السابقة هي سبب عذاب أصحابها في "سقر"، ويؤكد ذلك ورود أفعال تلك السلوكيات بصيغة المضارعة، وصيغة المضارعة تفيد تكرار الفعل واستمراره، فأهل "سقر" كانوا يصرون على ترك الصلاة ولم يطعموا المسكين، وأكثروا من الخوض مع الخائضين، ولم يؤمنوا بيوم الجزاء؛ حتى آتاهم اليقين.

ثانيا: دعّ اليتيم

والدعّ: الدفع بشدة وجفوة، بقصد الأذى والقهر والظلم(٥٧)،ولفظ **"دعّ"** لم يستعمل في القرآن الكريم إلا مرتين، **إحداهما**: للمعاملة في الدنيا، وذلك في قوله تعالى: **"يَدُعُّ الْيَتِيمَ"** ، و**الأخرى**: في دع المكذّبين إلى النار يوم القيامة، وذلك في قوله تعالى: **"يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا"** [الطور: ١٣](٥٨)، وبهذا يتجلى لنا مدى ما في لفظ "دعّ" من قسوة وغلظة وجفاء، وقد جاء لفظ "يدعّ" بالتشديد، للدلالة على أن المكذّب يعتاد ذلك، فالوعيد لا يتناول من فعل الفعل مرة وندم على ما فعله(٥٩).

و**اليُتْم** بالضم: الانفِراد وقيل الغفلة، و**اليتيم** في الأصل: الضعيف، ثم أطلق على: من مات عنه أبوه وهو صغير لم يبلغ الحلم، فإذا بلغ زالت عنه صفة اليتم(٦٠)؛ لقوله ﷺ: **"لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَام"**(٦١) أي: لا يجري على المحتلم أحكام اليتيم؛ لأنه سيكون بلغ مبلغ الرجال (أو النساء)، ولم يعد بحاجة شديدة إلى الولاية والرعاية كالصغير.

---

٥٦) انظر: التفسير القرآني للقرآن: ١٣٠٤/١٥

٥٧) ولمعرفة المزيد راجع: المفردات في غريب القرآن:٣١٤، وعمدة الحفاظ: ١٣/٢، وراجع كذلك تفسير الآية في: جامع البيان: ٢٤/ ٦٥٨-٦٥٩

٥٨) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٨٥/٢-١٨٦

٥٩) للمزيد راجع: مفاتيح الغيب: ٣٠٢/٣٢

٦٠) انظر: لسان العرب: ٦٤٥/١٢، وانظر كذلك: المفردات في غريب القرآن: ٨٨٩، وعمدة الحفاظ: ٥٣٠-٣٥١

٦١) سنن أبي داود: ١١٥/٣، كتاب (الوصايا)، باب (ما جاء متى ينقطع اليتم)، جزء من حديث رقم (٢٨٣٧)، والحديث صحيح صححه الألباني

والمقصود ب (دعّ اليتيم): دفعه بعنف وقسوة قهراً واستطالة، **أو** التعالي عليه استخفافا به، **أو** رده ردّا قبيحا، **أو** اغتصاب حقه ظلما، ويؤكد المعنى الأخير قراءة بعضهم: **"يَدَعُ الْيَتِيمَ"**(٦٢)، أي: يتركه دون أن يعطيه حقه(٦٣)، **أو** ترك رعايته وعدم مواساته على ما أصابه؛ لأن مواساة اليتيم وإن كانت غير واجبة، إلا أن الإنسان يذم بتركها.

ودعّ اليتيم من أبرز صفات المكذّبين بالدّين(٦٤)؛ وهي أول صفة ذكرت لهم في سورة "الماعون" التي تحدثت عن معظم صفاتهم، يقول تعالى: **"أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكذّب بِالدّين. فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ"** [الماعون: ١-٢]، وقد روي في سبب نزول تلك الآية أن: أحدهم كان ينحر كل أسبوع جزورين، فأتاه يتيم ليسأله شيئا، فقرعه بعصا، فنزلت الآية(٦٥)، ولا شك أن من يفعل ذلك شخص خبيث النفس مفتقر للرحمة، وفاقد لكل معاني الإنسانية؛ إذ إن الرحمة بالضعفاء وحبّ المساكين دليل على خيرية النفس، وقد كان رسولنا الكريم حريصا على ترقيق قلوب أصحابه، وتعليمهم تلك الرحمة، فعندما **قَبَّل** سبطه **الحسن بن عليّ**، في مجلس مع صحابته، واعترض الصحابي الأقرع بن حابس التميمي على ما فعله الرسول قائلا له: إن لي عشرة من الولد، ما قبّلت أحدا منهم قط، نظر إليه رسولنا الرحيم وقال: لا يُرحم من لا يَرحم(٦٦)، ولنا أن نتخيل من تلك الواقعة بعض المعتقدات القاسية، التي كانت ولا زالت سائدة عند بعضهم؛ فإن كان الرجل منهم لا يُقبّل أولاده، فماذا يمكنه أن يفعل مع أولاد غيره، ومن حرم الرأفة

---

٦٢) وهذه قراءة: عليّ والحسن وأبو رجاء واليماني، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٤٤٤/٢، وانظر كذلك: النكت والعيون: ٣٥١/٦، والبحر المحيط: ٥٥٢/١٠

٦٣) وهذا ما كان يفعله جلّ عرب الجاهلية؛ إذ كانوا لا يورثون النساء والصبيان لضعفهم، كما كانوا لا يكرمون اليتامى؛ بل يأكلون أموالهم ظلما، وقد عاب الله تعالى عليهم ذلك في قوله: **"كَلَاّ بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ"** [الفجر: ١٧]

٦٤) وأكل ماله من السبع الموبقات التي أمرنا الرسول ﷺ باجتنابها، انظر: صحيح البخاري: ١٠١٧/٣، كتاب (الوصايا)، باب (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما)، حديث رقم (٢٦١٥)

٦٥) قيل إن الآية نزلت في **أبي سفيان بن حرب**، وقيل إنها نزلت في رجل من المنافقين، وقيل إنها نزلت في **الوليد بن المغيرة**، انظر: أسباب نزول القرآن: ٤٩٣، ولدعّ اليتيم صور أخرى غير مباشرة منها: إهمال ماله دون تنمية حتى تأكله الصدقة، أو المغالاة في الأجرة على تنمية ماله، أو بحرمان فقراء اليتامى من حقهم الشرعي في الزكاة والصدقات وخلافهما من مثل: الهبات والعطايا والوصية لهم، إلى غير ذلك من أشكال الدعّ المتنوعة.

٦٦) انظر القصة كاملة في: المنهاج في شعب الإيمان: ٤٠٩/٣

والرحمة فقد حرم الخير كله، ولا شك أن الذي يبخل بالعاطفة والكلام اللين، سيكون أشد بخلا بالمال والإطعام.

أمّا عن رحمته ﷺ بالأيتام فقد كانت واسعة لا حدود لها، ولنا في مواقفه معهم الأسوة الحسنة، فسيرته العطرة مليئة بتلك المواقف، ومن ذلك: موقفه ﷺ مع أيتام زوجه أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها؛ إذ تكفل برعايتهم بعد أن خطبها لنفسه؛ لأنهم كانوا يحتاجون إلى مؤنة؛ وبذلك كفاها همّ العمل من أجل الإنفاق عليهم، وفوق ذلك فقد كبّر بابنها عمر ابن أبي سلمة، وجعله وليّا لأمه (وقد كان إذ ذاك صغيرا لا يلي مثله العقد)؛ لأنه لم يكن أحدٌ من أوليائها شاهدًا للعقد(٦٧).

ولا يمكننا في هذا المقام أن نغفل موقفه ﷺ مع أيتام جعفر رضي الله عنهم، فبعد أن علم بإصابته وموته، ذهب إلى بيته وطلب من زوجة جعفر أن تأتيه بأولاده، فشمهم وذرفت عينيه بالدّمع رحمة بهم، ثم ذهب إلى أهله وقال لهم: "لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم"(٦٨).

وفضلا عما سبق فإن كفالة اليتيم من أجلّ الأعمال عند الله تعالى وأعظمها، وهي من أفضل أبواب البر والبركة، فحسبها أنها تحافظ على اليتيم من خطر الانحراف السلوكي والنفسي، وترفع الكافل إلى أعلى الدرجات في الجنة؛ إن ابتغى بكفالته وجه الله تعالى، ولا غرو في ذلك، فحسبه أنه يجبر بكفالته القلوب الغضة التي انكسرت بفقد عائلها، ويشعرهم بالأمن والطمأنينة بعد أن سيطر عليهم الإحساس بالضعف والعجز والهوان؛ لذا رغبنا رسولنا الرحيم في كفالة اليتيم والإحسان إليه في غير حديث شريف، ومن ذلك قوله ﷺ: **"خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ"**(٦٩)، وقوله ﷺ: **"أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وأشار**

---

٦٧) للمزيد راجع: السيرة النبوية: لابن كثير: ١٧٤/٣

٦٨) للمزيد راجع: السيرة النبوية: لابن كثير: ٤٧٤/٣

٦٩) الأدب المفرد: ٦١، باب (خير بيت بيت فيه يتيم يحسن إليه)، جزء من حديث رقم (١٣٧)

بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئا"(٧٠)، ولعل في ذلك ما يدفع كل مسلم إلى التسابق والمسارعة للقيام بمسئولية الكفالة؛ لينال منزلة القرب من رسول الله ﷺ في الجنة، وما أعظم هذا الأجر الذي تتطلع إليه النفوس المؤمنة، يقول **ابن بطال**: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك؛ إذ إن درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى(٧١)، ولعل الحكمة في كون كافل اليتيم تقترب منزلته من منزلة النبي ﷺ في الجنة، تكمن في أن كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه ولا دنياه، فيرشده ويعلمه ويحسن أدبه، كما كفل النبي ﷺ الأميّين، الذين كانوا لا يعقلون أمر دينهم ودنياهم، فعلمهم وأرشدهم وأدبهم بأدب الدّين.

وكفالة اليتيم لا تقتصر على الكفالة المادية فحسب؛ **إنما تتطلب** كذلك: العناية به وحسن معاملته، وتربيته تربية صالحة، والسعي في مصالحه وتنمية ماله (إن كان له مال)، والإنفاق عليه بالقدر الذي يوفر له أساسيات الحياة الكريمة أسوة بأقرانه من غير اليتامى (إن لم يكن له مال)، مع الاهتمام بالجوانب الوجدانية لليتيم؛ إذ إن الكفالة المعنوية لا تقل في أهميتها عن الكفالة المادية؛ بل تزيد عليها، فمن حق اليتيم على المجتمع الإنساني المحيط به [ولا سيما المقربين منه برحم أو سكن] أن يولوه من الاهتمام القدر الذي يحقق له العيش الكريم، وأن يشعروه بسكينة البيوت ودفئها؛ لما في ذلك من أثر كبير على تعديل سلوكه وأمنه النفسي، وعليه فأعلى درجات الكفالة، هي التي يَضمّ فيها الكافل اليتيم إلى بيته، ويعامله معاملة أولاده ماديا ومعنويا، وهذه هي الكفالة التامة(٧٢).

وللحد من معاناة اليتامى في المجتمعات الظالمة، التي تفتقر إلى الرحمة والتكافل، **نهى** المشرع الحكيم عن قهر اليتيم، يقول تعالى: **"فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ"** [الضحى: ٩]، **وفرض** له حقوقا معلومة في (الزكاة والصدقات والغنيمة والفيء)، وشدد على تلك

---

٧٠) صحيح البخاري: ٢٠٣٢/٢٠، كتاب (الطلاق)، باب (اللعان)، حديث رقم (٤٩٩٨)

٧١) للمزيد راجع: فتح الباري ٥٣٦/١٠

٧٢) وقد تكون الكفالة بالإنفاق فقط دون ضم إلى الكافل، وهذا ما يفعله كثير من أهل الخير؛ إذ يتكفلون بالإنفاق على يتيم يعيش في جمعية خيرية أو يعيش مع أهله، ولعل هذه الكفالة تقل درجة عن كفالة الضم، وفي كل خير.

الحقوق في غير نص شرعي كريم(٧٣)، ولتحريك الرحمة في القلوب القاسية يقول تعالى: **"وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا"** [النساء: ٩]، فمن لم يرض لصغيره الضعيف الأذى والقهر بعد موته، فليتق الله في اليتامى، وليضع نفسه مكان الميت، ويضع أولاده مكان أولاد الميت، وليتصرّف وفق هذه النظرة، ولا شك أنه في ذلك الوقت لن يتردد في جبر ضَعْف اليتيم، والقيام بدور عائله الذي فقده؛ وبذلك يمكننا المحافظة على فئة ضعيفة، موجودة في كل مجتمع وبنسبة غير قليلة.

وإذا نظرنا إلى حال اليتامى الآن نجد تفاوتا كبيرا بين حقوقهم التي شرعها الله تعالى لهم، وبين ما يحدث لكثير منهم على أرض الواقع من: معاناة وقهر وحرمان؛ مما يدفع بعضم إلى الانتحار أو الانحراف وارتكاب الجرائم، وهم في سن الزهور؛ لأنهم لم يجدوا اليد الحانية التي تقدم لهم الرعاية الكافية، ولم يجدوا كذلك القلب الحاني الرحيم الذي يشعرهم بالعطف والحنان، فالأخبار و**الإحصائيات** تؤكد مدى المعاناة التي يعيشها الأيتام في جميع أنحاء العالم، وعدم كفاية ما يبذل من أجلهم من رعاية، وبحسب التقرير الذي أعدّ عن الأيتام منذ عامين تقريبا، تبين أن عدد الأيتام في العالم تجاوز ال ٢٠٠ مليون يتيم في عام ٢٠٢٠م، وبحسب أرقام غير رسمية فإن هذا الرقم يقارب ٤٠٠ مليون الآن، أي يزيد بمعدل ١٠ آلاف طفل يتيم كل يوم، وللآسف الشديد يقع في كل عام ما يقرب من المليونين ونصف المليون من هؤلاء الأطفال فريسة في أيدي العصابات المجرمة(٧٤)؛ لتفعل بهم الأفاعيل(٧٥).

---

٧٣) وقد ورد لفظ **"اليتيم"** في القرآن الكريم عدة مرات لتأكيد حقه؛ إذ جاء مفردًا ثمان مرات، ومثنى مرة واحدة، وبالجمع أربعة عشر مرة، وجميع الآيات التي تحدثت عنه تحث على: الإحسان إليه وتكريمه، أو إصلاحه، أو إطعامه والإنفاق عليه، أو إيوائه وعدم إهانته وقهره، والتحذير من القرب من ماله أو أكله بالباطل، راجع تلك الآيات مجتمعة في: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم: ٢/ ١٣٢٦-١٣٢٨

٧٤) انظر: تقرير وكالة نيو ترك بوست الإخبارية عن الأيتام في العالم ٢٠٢٠م: https://newturkpost.com/news/79229-

٧٥) حتى اليتامى الذين يعيشون في دور لرعاية الأيتام، لم يكونوا أسعد حظا من المتشردين بلا مأوي، فمعظمهم يعاني من القهر والضرب والإهانة حتى في البلدان الإسلامية، انظر على سبيل المثال: مقالة: ضرب عنيف في دار

وإلى جانب ما سبق فالدعّ لا يفارق ذاكرة اليتامى غالبا، وهذا بدوره يعزز فيهم روح السلبية تجاه الآخرين، وربّما يدفعهم ذلك القهر لارتكاب الجرائم بكافة أنواعها؛ لينتصروا لأنفسهم من المجتمع الذي ظلمهم وتجاهل حقوقهم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن اللقيط مجهول النسب أشبه ما يكون باليتيم، وتنطبق عليه أحكامه؛ لضعفه وفقد عائله، وغالبا ما يكون حاله أشد سوءا من حال اليتيم؛ لأنه غالبا لا يكون له مال موروث، ولا يُعرف له أهل ليكفلوه (بخلاف اليتيم الذي غالبا ما يكون له أهل وربما مال)، الأمر الذي يحرك مشاعر الرحمة في قلب من يراه، وعليه فكفالته ككفالة الأيتام وربما تزيد، والإحسان إليه أمر واجب على المجتمع كله، ليتربى تربية صالحة، وتُغرس في نفسه القيم الطيبة التي تجعله يحب مجتمعه ويحترمه، ولعل أجر من يكفله لا يقل عن أجر من يكفل اليتيم، ولنا في رسولنا الرحيم وتلطفه مع مجهولي النسب أسوة وعبرة، ويتجلى ذلك في موقفه ﷺ من ابن المرأة الغامدية التي حملت فيه سفاحًا؛ إذ قال لها: **"فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ. قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ. قَالَ: اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ. فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ. فَقَالَتْ: هَذَا، يَا نَبِيَّ اللَّهِ! قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ. فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا. وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا"**(٧٦)، فرسولنا الرحيم حمى حياة الجنين وهو مجهول النسب من حمل سفاح حتى ولد، وأمهل أمّه ولم يقم عليه الحدّ، حتى أخذ الولد حقه من الرضاعة وفطم، ولم يرجم الأمّ حتى اطمأن على الولد وأعطاه لأحد المسلمين ليتولى تربيته؛ رحمة واحتراما لنفس ضعيفة لم ترتكب إثما؛ واعترافا بحقها في حياة آمنة مطمئنة.

أيتام مصرية: https://www.alarabiya.net/arab-and-world/egypt/2020/01/29/، وانظر كذلك: مقالة: ضرب الفتيات في دار أيتام بالسعودية: https://www.albayan.ae/varieties/2022-09-01-1.4505773، ومقالة: دور الأيتام" سلخانات تعذيب الأطفال.. الاغتصاب والحرق والضرب بديل حنان الأبوين في مؤسسات الرعاية: https://www.albawabhnews.com/2462655 بتاريخ ٢٠١٧/٤/٦م،

(٧٦) صحيح مسلم: ١٣٢٣/٣، كتاب: (الحدود)، باب: (من اعترف على نفسه بالزنى)، جزء من حديث رقم (١٦٩٥)

ولا شك أن في العناية باللقطاء صلاح للمجتمع؛ لأن اللقيط إن لم يجد من يهتم بشئونه وبتربيته، سيزداد أمره سوءا، وغالبا ما تفسد أخلاقه ويضل عقله، ويصبح شرا مستطيرا على كل من يتعامل معه، وعندما يكبر سيصبح عضوا فاسدا حاقدا على المجتمع الذي أهمله، وهذا أيضا حال أولاد الشوارع، أو أي فئة تجمع بين الضعف والفقر والمسكنة؛ فإن لم تجد في مجتمعاتها الرعاية المادية والمعنوية اللازمتان للحياة المعتدلة، ستصبح وبالا عليها.

ثالثا: عدم الحضّ على طعام المسكين

والحضّ في اللغة: ضرب من الحث؛ إلا أنّ الحثّ يكون في السير والسوق وكل شيء؛ بينما **الحضّ:** الحثّ وبعث الحمية على شيء لا سير فيه ولا سوق(٧٧)، ولم يستعمل لفظ (الحضّ) في القرآن الكريم "إلا في سياق الإنكار لعدم التواصي برعاية المسكين وإطعامه مع اقتران هذا الإنكار بالكفر بالله والتكذيب بالدّين"(٧٨)، ويؤكد ذلك قوله تعالى: **"إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ"**[الحاقة: ٣٣-٣٤]، وقوله تعالى: **"فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ"** [الماعون: ٢-٣]، وقوله تعالى: **"وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ" [**الفجر: ١٨].

والمقصود بالحضّ على طعام المسكين: حرمان المسكين من حقه في طعام الصدقة(٧٩)، فالمكذّب بيوم الدّين يحسب أن ماله أخلده، فيتعمد الاستهانة بالمسكين الضعيف وإيذاءه فلا يطعمه؛ إن كان قادرا على الإطعام، ولا يحضّ غيره من الأثرياء على إغاثته وسدّ جوعه؛ إن كان عاجزا عن الإطعام [أي: لا يفعل الخير ولا يدل عليه]،

---

٧٧) لمعرفة المزيد، راجع: معجم الفروق اللغوية: ١٧٥-١٧٦، وراجع كذلك: لسان العرب: ١٣٦/٧، والمفردات في غريب القرآن: ٢٤١

٧٨) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٨٦/٢

٧٩) والمسكين: هو الذي يكون في نهاية الفقر فلا يجد شيئا، وقد ظهر عليه السكون للحاجة وسوء الحال، وسمي المحتاج مسكينا؛ لأن الفقر أسكنه وقلل حركته، انظر: معجم الفروق اللغوية: ٩٠، ولمعرفة المزيد حول المسكين، والفرق بينه وبين الفقير، راجع: لسان العرب: ٢١٤/١٣-٢١٧، وعندما سُئل رسول الله ﷺ عن المسكين قال هو: **"الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ. وَلَا يُفْطَنُ لَهُ، فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ. وَلَا يسأل الناس شيئا"**، صحيح مسلم: ٧١٩/٢، كتاب (الزكاة)، باب (المسكين الذي لَا يَجِدُ غِنًى، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ)، جزء من حديث رقم(١٠٣٩)

وهذا يبين غاية سوئه وتقصيره(٨٠)؛ إذ لم يقتصر بخله على فعله؛ بل امتد إلى قوله، فبخل بحضّ غيره على إطعام المحتاج، ولا غرو في هذا، فمن يحرم اليتيم من حقوقه، كيف يطعم المسكين من ماله الخاص أو يحضّ غيره على الإطعام؟!.

وقد عبّر الله تعالى عن حاجة المسكين بالطعام؛ لأن الطعام هو أساس الحاجات التي يقوم عليها وجود الإنسان، وإضافة الطعام إلى المسكين **يدل على** أن ذلك الطعام حق للمسكين، **وعلى** أن المسكين يشارك الغني في ماله بقدر ما فرض الله من كفايته، وبهذا يكون المكذّب بالدّين منع المسكين من حقه؛ لنهاية بخله وقساوة قلبه(٨١).

وإلى جانب ما سبق فإن الإطعام سمة من أعظم سمات ديننا الحنيف(٨٢)، وهو من صفات الأبرار؛ لقوله تعالى: **"وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا"** [الإنسان: ٨-٩]، وقد أدرك الصحابة فضل الحضّ على طعام المسكين على سائر الخيرات الأخرى، فنجد أن أبا الدرداء كان يقول لزوجه: "يا أمّ الدرداء: إن لله سلسلة لم تزل تغلي بها مراجل النار منذ يوم خلق الله جهنم إلى يوم تلقى في أعناق الناس، وقد نجانا الله من نصفها بإيماننا بالله العظيم، فحضي على طعام المسكين"(٨٣)، وهكذا يكون أهل الإحسان في كل زمان ومكان: يطعمون الطعام، ويدفعون الضرّ عن المتضررين، أيّن كانت جنسياتهم أو معتقداتهم، فالله تعالى كفل الرزق للجميع، وهم يتاجرون مع الله تعالى في تجارة لن تبور، فليس من المسلمين من بات شبعانا وجاره جائع وهو يعلم، و**على الجانب الآخر** فقد جعل الله تعالى البخل بالإطعام، أو عدم الحض عليه، سمة من سمات أهل "سقر" المجرمين، لقوله

---

٨٠) ومن المؤسف أن نجد من هؤلاء المكذّبين من يعطي من لا يستحق بسخاء فخرا وسمعة، مثل: الوليد بن المغيرة، الذي روي عنه أنه: كان ينفق في كل موسم حج عشرين ألفاً لإطعام أهلَ مِنى، ولا يعطي المساكين درهماً واحداً، راجع: التحرير والتنوير: ٧٣/٢٩

٨١) لمعرفة المزيد، راجع: التفسير الكبير: ٣٠٣/٣٢، وراجع كذلك: نظم الدرر: ٢٧٩/٢٢-٢٨٠

٨٢) ويؤكد ذلك أن أعياد المسلمين ومناسبتهم مرتبطة بإطعام الطعام، فزكاة الفطر طعام، والأضحية طعام، والهدي طعام، والعقيقة طعام، والوليمة طعام، والكفارات والنذور ممكن أن تكون إطعاما، والمستفيد من ذلك كله غالبا هم الفقراء والمساكين

٨٣) انظر: كتاب الأموال: ٤٣٨-٤٣٩، ويؤكد قول أبي الدرداء قوله تعالى: **"إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ"** [الحاقة: ٣٤]

تعالى: **"كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ. إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ. فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ الْمُجْرِمِينَ. مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ"** [المدثر: ٣٨-٤٤]

وإن كانت مكانة الإطعام عظيمة، فإن إطعام اليتيم القريب وقت المجاعة الشديدة، أو المسكين المعدم اللاصق بالتراب من شدة فقره؛ لأشد عظمة، وحسبنا أن يكون إطعامهما سببا في اقتحام العقبة التي قد تحول بين المطعم ودخول الجنة، وأنه يعادل فك الرقبة؛ لقوله تعالى: **"وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ. أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ"** [البلد: ١٢ – ١٦]، وبذلك يتأكد لنا أن عبادات الإنسان لا تضمن له دخول الجنة مهما كثرت؛ لأنه لا يضمن لها القبول، بينما ذكر الله تعالى أن الذي يضمن للموحد اجتياز العقبة التي تحول بينه وبين دخول الجنة هو رحمته بالضعفاء والمساكين وبخاصة في أوقات العسر، **أو** تحرير رقبة من ذل الرق والعبودية لغير الله تعالى؛ **وإن كنا اليوم في زمن ليس فيه رقيق لنعتقهم**، فلنعتق الضعفاء والمعدمين من ذلّ الاحتياج وقهر العوز؛ وبخاصة في وقت الكروب والمجاعات والأهوال؛ لنقتحم العقبة الأخيرة لدخول الجنة، كما وعدنا المولى تعالى.

وعلينا ألا نغفل أن حرمان المساكين من حقوقهم يتنافى مع سماحة الشرائع القويمة، وأمرها بوجوب الإحسان إلى المحتاج، وبضرورة التكافل بين فئات المجتمع المختلفة، والذي لا يفعل ذلك (إن كان موسرا)، أو يحض عليه غيره (إن كان غير موسر)، إنسان شقي غليظ القلب، عديم الرحمة، فاقد لكل معاني الإنسانية؛ فعدم الشعور بآلام الجياع، من أكثر الصفات ضررا بالإنسانية، ومن يغلبه الشحّ، ويؤثر ماله على أمر الله؛ يستحق أشد ألوان العذاب، **أمّا من يهون** عليه ماله، ويجود به لإغاثة الجياع المعدمين، فهو على منهج الحق والهدي القويم، وبذلك يكون لديننا الحنيف السبق في الدعوة إلى التكافل بين أفراد المجتمع، ومحاربة خصال الشح والإسراف في النفوس، وجبلها على البذل والعطاء والتضحية؛ ليحيا الجميع حياة طيبة في الدنيا، وينالوا العفو والرضوان في الآخرة.

وإلى جانب ما سبق فإن للمجاعات أضرار خطيرة على النفس والعرض والممتلكات، فكم من الثورات الدامية قامت بسبب بخل الأغنياء بحق المحرومين؛ حتى دفعهم الجوع إلى الانقلاب عليهم، والاستيلاء على ما استطاعوا أخذه من ممتلكاتهم؛ وبذلك أصبح بخل الغني وبالا عليه في الدنيا قبل الآخرة، ومن ثَمّ تتجلى لنا أهمية الحث على الإحساس بالمساكين المحرومين، وبأهمية مشاركة النعم معهم، كنوع من أنواع التكافل الديني والاجتماعي(٨٤)، ولعل هذا هو ما حثنا عليه رسولنا الكريم في قوله: **"مَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ ... فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الأَمْوَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ"**(٨٥).

ولو طبقنا الحديث السابق في عصرنا الراهن، فما أظن أنه سيكون هناك مجاعات بين البشر، فالله تعالى كفل رزق المخلوقات جميعها في الأرض، والذي يتسبب في المجاعات، ويصنع الفوارق الطبقية الكبيرة بين البشر هو تحكم بعضهم في هذه الخيرات ومنعها عن الآخرين (باحتكارها تارة، وبحرق الفائض منهم وإتلافه تارة أخرى)؛ ليحرموا المحتاجين من حقوقهم، ويتحكموا في حريتهم وعقيدتهم؛ مستغلين جهلهم ومرضهم وحاجتهم الشديدة للطعام.

ومن العجيب والمؤسف أن يمنع بعضهم غيره من حقه في خيرات الأرض، وفي الوقت ذاته يدعو إلى بالرفق بالحيوان ويتباهى بذلك؛ لدرجة أن أحدهم قد يوصي بماله

---

٨٤) وقد تنبه لهذا الأمر حُكام بعض البلدان الإسلامية، فعلى سبيل المثال نجد أن المملكة العربية السعودية تقوم بحفظ وتغليف لحوم الهدي والأضاحي، وتوصلها إلى خمسة وعشرين دولة عربية وإسلامية، من الدول التي يعاني أهلها من المجاعات طوال العام، وللمزيد انظر: مقالة (مشروع الأضاحي (السعودية) بتاريخ ٢٠٢٠/١/٩م: https://ar.wikipedia.org ، ومقالة (أضاحي الحجاج شعيرة تسهم في تخفيف أزمة الجوع في العالم) بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٧م: https://www.swissinfo.ch

كما نجد أن بعض الجمعيات في دول الخليج تقوم بجمع الفائض من الأطعمة في الحفلات والولائم الكبرى، وتُعيد ترتيبها وتغليفها، وتوزعها على الفقراء والمحتاجين، وما أكثرهم، انظر مقال («حفظ النعمة» يوفر وجبات إفطـــــار لـ ٢٠٠٠ عائلة و٢٠ ألف عامل) بتاريخ ٢٠١٠/٨/١٣م: https://www.emaratalyoum.com/local-section/other/2010-08-13-1.278350

٨٥) الجمع بين الصحيحين: ٦٥٨/٢، كتاب (في الأقضية والشهادات)، باب "في الضيافة والمواساة"، حديث رقم (٢٩٧٦)

كله لكلبه، ولا يطعم مسكينا واحدا، متجاهلا الحق الإنساني للفقراء والمعدمين مع كثرتهم، وما المجاعات الطاحنة في جنوب أفريقيا عنا ببعيد.

رابعا: منع الماعون

والماعون: من المَعْنُ، وهو الشيء اليسير الهيّن، الذي لا سعة له ولا منعة، وفي الوقت ذاته يعين الناس على قضاء حوائجهم، وهو: اسم جامع لمنافع البيت التي فيها حق للناس، والتي قد يسألها الغني والفقير؛ لأنها من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض(٨٦).

وقد اختلف المفسرون في المقصود من "منع الماعون" على أقوال من أهمها(٨٧):

- منع كل شيء فيه منفعة؛ كالأموال والأمتعة وكل ما ينتفع به، وإن كان الماء الذي ينزل من السحاب.
- منع الأشياء المستعارة لتيسير الأمور، كالقِدر، والقصعة والدلو، والفأس، والإبرة، ونحو ذلك مما خف فعله وقل ثقله من العارية، التي جرى عرف الناس باستعارتها من بعضهم، ويؤيد هذا القول ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: **"كنَا نعُدُّ الماعونَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ عاريةَ الدَّلوِ والقِدْرِ"**(٨٨).
- منع ما لا يحل منعه كالماء والملح والنار.
- منع الطاعات كالزكاة المفروضة وصدقات الأموال، وسُميت ماعونا؛ لأن مقدارها قليل من كثير.

أمّا عن حكم منع الماعون فقد اختلف العلماء فيه على قولين(٨٩):

الأول: ما يأثم الإنسان بمنعه، ويشمل: الأشياء المتعلقة بالضرورات اللازمة لحياة الإنسان، من مثل: منع الطعام أو الشراب أو الدواء عن المضطرين، وتزداد حرمة هذا المنع بازدياد درجة الاضطرار، كمنع تلك الضرورات عن (الصغير دون سن التمييز، أو المعدم والمريض العاجزين عن الكسب)؛ لاحتياج تلك الفئات الشديد لسد الضرورات

---

٨٦) والماعون كان يُطلق في الجاهلية على كلُّ منفعةٍ وعطيّةٍ، ثم أطلق في الإسلام على: الطاعة والزكاة، انظر: الصحاح: ٢٢٠٤/٦-٢٢٠٥

٨٧) للمزيد راجع: جامع البيان: ٦٦٩/٢٤ وما بعدها، وراجع كذلك: النكت والعيون: ٣٥٣/٦، وتفسير البغوي: ٣١٣/٥، ومفاتيح الغيب: ٣٠٥/٣٢

٨٨) سنن أبي داود: ١٢٤/٢، كتاب (الزكاة)، باب (في حقوق المال)، حديث رقم (١٦٥٧)، والحديث حسنه الألباني

٨٩) لمزيد من التفاصيل، راجع: الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٨٢/٥، وما بعدها

الأساسية للحياة، وهؤلاء هم الذين فرض المولى تعالى لهم حقا معلوما في الزكاة والصدقات وجميع أنواع البر.

والآخر: قسم لا يأثم الإنسان بمنعه، ويشمل: منع الأشياء التي يحتاج إليها الناس لتسهيل العمل وأمور الحياة، كمنع القِدر، والقصعة، وما شابههما من أدوات تسهل المعيشة وتعين على الكسب، وهذا النوع من المنع لا يأثم صاحبه إذا منعه؛ لأنه يخرج عادة عن حالة الاضطرار الشديد؛ لكنه يفوت على المانع الأجر الكبير، ويفقده روح التآلف والتعاون مع مجتمعه، وهذا ما حذرنا منه المشرع الحكيم في غير موضع، ومن ذلك قوله تعالى: **"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"** [المائدة: ٢]، وقوله ﷺ: **"وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ، مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"**(٩٠).

وعلى كلٍ فمنع الماعون وردّ السائل دون حاجته من مساوئ الأخلاق؛ لأن الجود به: يُعد جودا بشيء يسير، لا يُضَر صاحبه من بذله، وفي الوقت ذاته ينتفع به السائل.

والمكذّبون بالدّين يغلب عليهم الشح فيبخلون بتقديم أية مساعدة لمن يطلبها؛ وإن كان من المساكين الذين أوجب الله تعالى لهم حقا معلوما في أموالهم، فهم يستعظمون الجود لهم بالماعون الذي هو أدنى أمور الدنيا ولو رياء؛ لقسوة قلوبهم وفرط لؤمهم وخبث خلالهم.

*** وإن كان الله تعالى حرّم** منع الماعون اللازم عن المضطر والمحتاج؛ فما **بالنا بمن** يمنع المحتاجين من أخذ حقهم من السلع الأساسية للحياة، ويتحكمون في أقواتهم وأدويتهم؛ ليستعبدوهم بدلا من معاونتهم وكفالتهم بالبذل والعطاء.

ومن العجيب والمؤسف أن نجد كثيرا من هؤلاء المحتكرين البخلاء بحقوق الناس ينفقون بسخاء على من لا يستحقون، ويسرفون ببذخ في مناسباتهم الخاصة من مثل: حفلات الزفاف الخاصة بهم وسرادق العزاء والرحلات وما شابه ذلك، في الوقت الذي يبخلون فيه بحق الفقراء والمحتاجين من المرضى والضعفاء؛ ولو كانوا من ذوي القربى.

---

(٩٠) سنن الترمذي: ٤٨٧/٣، كتاب (البر والصلة)، باب (ما جاء في الستر على المسلم)، جزء من حديث رقم (١٩٣٠)، والحديث حسن صحيح

ومنع الماعون لون من ألوان البخل والشحّ، الذي نهانا ديننا عنهما في غير نص كريم، ومن ذلك: قوله تعالى: **"وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"** [آل عمران ١٨٠]، وقول رسولنا الكريم ﷺ **"مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"**(٩١)، فالبخيل لا يحرم نفسه من الأجر الكبير فحسب؛ بل يحرم نفسه أيضا من حبّ الناس، ومن السيادة في قومه؛ ولعل ذلك هو ما أشار إليه الرسول ﷺ عندما غيّر سيد بني سلمه لبخله؛ وذلك عندما قال لبني سلمة: **"مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ؟ "قُلْنَا: جُدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَّا نُبَخِّلُهُ. قَالَ: "وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ"**(٩٢)؛ وذلك لأن البخيل يكون مكروها من الناس، وعليه فلا يمكن أن يكون عظيما في قومه، فخير الناس أنفعهم للناس.

* **وهكذا يروضنا** المولى تعالى على تحمل المسئولية الاجتماعية؛ ليرتقي بالإنسان إلى الإحساس بالآخرين، ومن ثَمّ فقد عدّ الإساءة إليهم وبخاصة الضعفاء، تكذيباً بالدّين، كما جعل منع الماعون عن المحتاج لا يقل سوءا عن دعّ اليتيم، وعدم الحضّ على طعام المسكين، ولا يقل سوءا كذلك عن التقصير في حقوق الله تعالى؛ لذا جمع الله تعالى بين كل الصفات الخبيثة السابقة في آيات متتالية، وذكر أنها من صفات المكذّبين بالدّين، يقول تعالى: **"أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكذّب بِالدّين. فَذلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ. فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُراؤُنَ. وَيَمْنَعُونَ الْماعُونَ"** [قريش: ١-٧]، ولعل في ذلك تأكيد على حقّ المجتمع في أن يسود التراحم والتكافل بين أفراده، وأدنى درجات هذا التكافل: إعانة القادرين لغير القادرين؛ ولا سيما في الأشياء التي لا يضرهم الاستغناء عنها لبعض الوقت، في الوقت ذاته يتعذر على المحتاجين

---

٩١) صحيح البخاري: ٥٢٢/٢، كتاب (الزكاة)، باب (اللهم أعط منفق مال خلفا) حديث رقم (١٤٤٢)
٩٢) صحيح الأدب المفرد: ١٢٥، باب (البخل)، حديث رقم (٢٩٦)

شراءها، لما في تلك المعاونة من تخفيف الأعباء عن المحتاجين، وتحقيق التعاون بين فئات المجتمع المختلفة(٩٣)، ولما في الامتناع عن تلك المعاونة من استهانة بحقوق الضعفاء، وخروج عن مبدأ المواطنة، والمساهمة في انحدار المجتمع نحو السقوط، فالدين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو مع فئة الضعفاء؛ فنجده مع اليتيم حتى يكبر، ومع الضعيف حتى يقوى، ومع الفقير حتى يستغنى، ومع الهائم حتى يستقر.

* **وفي نهاية حديثي** عن صفات المكذّبين بالدّين وسلوكياتهم الاجتماعية، أودّ الإشارة إلى أن: هناك من المسلمين من قد يتصف ببعض تلك الصفات أو جميعها، فمن يفعل ذلك منهم يكن متصفا ببعض صفات المكذّبين بالدّين؛ حتى يُقلع عنها، ولا يخفى علينا ما قد يترتب على الاتصاف بتلك الصفات من عواقب وخيمة في الدنيا وعذاب عظيم في الآخرة؛ لتزجرنا عن التشبه بصفات هؤلاء الكفار المكذّبين بالدّين، وحسبنا في ذلك قوله تعالى: **"قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ"** [البقرة: ١١٨]، وقول النبي ﷺ: **"مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"**(٩٤).

---

[٩٣]) ومما ينبغي التأكيد عليه ضرورة المحافظة على الماعون، ورده إلى أصحابه في الوقت المتفق عليه، والتأكيد كذلك على أن من يجحده يستحق عقوبة جحد العارية؛ لأن الإخلال بذلك من الأسباب التي تدفع أصحاب الماعون إلى منعه

[٩٤]) سنن أبي داود: ٤٤/٤، كتاب (اللباس)، باب (في لبس الشهرة)، حديث رقم (٤٠٣١)، والحديث صحيح صححه الألباني

المبحث الثالث

السلوكيات الدينية للمكذبين بالدّين

وتضمن هذا المبحث الحديث عن أهم سلوكيات المكذبين الدينية، من مثل: السهو عن الصلاة، والمراءة، والاستهزاء بآيات الله تعالى، وسوف أتحدث عن كل سلوك منهم، مبينة خطورته:

أولا: السهو عن الصلاة:

والمقصود بالسهو في اللغة: نسيان الشيء والغفلة عنه، و**السهو في** الشيء تركه عن غير علم(٩٥)، وعليه **فالسهو في الصلاة:** الغفلة عن شيء منها دون تعمد، **وهذا جائز شرعا**، وقد حدث ذلك مع النبي ﷺ نفسه(٩٦)، أمّا **السهو عن الصلاة:** فالمقصود منه: الانشغال عن الصلاة بتركها أو عدم إقامتها على وجهها الصحيح؛ وذلك بتعمد ترك جزء منها، مع العلم بأهميته وحرمته، وهذا هو ما أشار إليه الله تعالى في قوله: **"فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ"** [الماعون: ٥]، أي: ويل للذين يتركون الصلاة، غير ملتفتين إليها، أو لا يصلونها على الوجهة الصحيحة من: تمام وخضوع وخشوع(٩٧)، ولعل في **الآية** السابقة **دليل على** أن: التكذيب بالدّين ليس مقصورا على الكفار، فهناك من يكذّب به من المسلمين، وهم الفسقة والمنافقون الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، ويفعلون أفعالا تخالف تعاليم الدّين القويم، ومن ذلك تعمد السهو عن صلاتهم، متجاهلين رهبة الوقوف بين يدي الله تعالى، وهذا للأسف حال كثير من

---

٩٥) وللمزيد راجع: لسان العرب: ٤٠٦/١٤

٩٦) وقد ورد ذلك في غير حديث، ومن ذلك ما رواه مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ، أنه قال: **"صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ فَسَهَا فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ سَهَوْتَ فَسَلَّمْتَ فِي رَكْعَتَيْنِ، «فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَتَمَّ تِلْكَ الرَّكْعَةَ"**، المستدرك على الصحيحين: ٤٦٩/١، كتاب (الصلاة)، باب: (السهو)، جزء من حديث رقم (١٢٠٦)، كما أثبت الفقهاء في كتبهم بابا لسجود السهو.

٩٧) انظر: الكليات: ٥٢١، ولعل المقصود من "الصلاة" في الآية: الصلاة الواجبة؛ لأنه لا تعذيب على غير الواجب، وقد أطلق الله تعالى على الساهين عن الصلاة لفظ "المصلين"؛ لأنهم مكلفون بالصلاة، وقد ذكر الشوكاني أن في ذلك **دليل على** أن الكفار مخاطبون بالشرعيات، ويعاقبون على تركها، انظر: فتح القدير: ٥/ ٣٩٩، ورأي الشوكاني له وجاهته، فإن كان الله تعالى يعاقب عبده المؤمن على ما أخل به من واجبات دينه، فكيف لا يعاقب عبده الكافر؟

المرائين، الذين ضلّ سعيهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم فعلوا ما عليهم؛ لذا استحقوا العذاب في الويل؛ لانخداع المجتمع في تدينهم، وهم في حقيقة أمرهم لا يقصدون بعباداتهم التقرب من خالقهم.

وقد اختلف المفسرون في المقصود من قوله تعالى: **"عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ"** على عدة أقوال، من أهمها(٩٨):

- أنهم لا يبالون بالصلاة، فيتعمدون تضييعها بتأخيرها عن وقتها، أو لا يصلونها كما ينبغي فينقرونها نقرا من غير خشوع، ويؤكد ذلك قوله تعالى: **"فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ"** [مريم: ٥٩].

- أنهم يتركون الصلاة فلا يصلونها، فالصلاة ليست من شأنهم؛ لعدم إيمانهم بالبعث والحساب.

- أنهم يتركون الصلاة في غير وجود الناس، ويصلونها إذا كانوا بصحبة ناس؛ رياء منهم ونفاقا، وإن صلوا لم يخشعوا؛ لأنهم لم يرجوا بصلاتهم ثوابا، وإن تركوها أو ضيعوها لم يندموا؛ لأنهم لم يخشوا من عقوبة تركها.

- أنهم يتهاونون في أداء الصلاة إن صلوا، وينشغلون عنها باللهو وبغير ذكر الله في جميع أركانها، فنجدهم يعبثون بجوارحهم دون داع، ويتلفتون يمنة ويسرة، ولا يتمون لها ركوعا ولا سجودا، حتى إذا انتهوا منها لا يكاد يدري أحدهم ماذا من السور قرأ، ولا عن كم ركعة انصرف.

* **والإنسان الذي يداوم على صلاته** ولا يصرفه عنها صارف، ولا يمنع ماله عن المحتاجين، هو الآمن الذي لا يجزع إن أصابه مكروه؛ وذلك لقوله تعالى: **"إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ. وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ"** [المعارج:

---

٩٨) راجع تفاصيل تلك الأقوال في: جامع البيان: ٦٥٩/٢٤-٦٦٢، وراجع كذلك: النكت والعيون: ٣٥١/٦، والجامع لأحكام القرآن: ٢١١/٢٠، وتفسير البغوي: ٣١٢/٥، ومفاتيح الغيب: ٣٠٤/٣٢

١٩-٢٥]، أمّا المكذبون الذين **يغفلون عن** صلاتهم وينشغلون عنها باللهو أو بأمور دنيوية فانية، لا يُعدون من المصلين؛ لأنهم لا يقبلون على ربهم؛ وإن ركعوا وسجدوا؛ لأن ركوعهم وسجودهم لا يمثل بالنسبة لهم إلا حركات جسدية من غير نية خالصة، أو قلب خاشع، أو روح موجهة إلى خالقها، وبالتالي فصلاتهم بهذه الحالة تصبح بلا وزن أو قيمة؛ لأنها تخرجهم عن الغاية الحقيقية من إقامة الصلاة والحكمة منها، إلى التظاهر بالعبادة والتدين بصورة شكلية آلية مجردة، **"**والإسلام يرفض هذه الآلية في شعائر الدّين، ويتجه بالعبادات إلى أن تكون تهذيباً للنفس ورياضة للضمير وهداية إلى خير الفرد والجماعة**"**(٩٩).

وبالإضافة إلى ما سبق فإن الآلية في الصلاة لا تزود أصحابها بالزاد الكافي؛ لإشباع حاجتهم النفسية والوجدانية، ومن ثَمّ فصلاتهم لا تنهاهم عن الذنوب والمعاصي، ولا تُعَدّل من سلوكياتهم، ومن ثَمّ فهم لا ينتفعون بصلاتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومن كانت صلاته على تلك الهيئة، لابد أن يكون مكذّبا أو منافقا؛ لأنه يتظاهر بالصلاة والتدين؛ ليجلب منفعة أو يدفع أذى، وهو في حقيقة أمره لا يؤمن بالله تعالى حق اليقين، ولا يعتقد في أهمية أشرف العبادات، أمّا المؤمن الذي يرجو ثواب الله تعالى ويخشى عقابه، فقد يسهو في بعض أجزاء صلاته؛ لكنه لا يسهو عنها كلها.

وقد خص الله تعالى الصلاة دون سائر العبادات بالذكر؛ لأنها أكثر العبادات ظهورا أمام الناس؛ ولأنها عماد الدّين الذي لا يمكن أن يستقيم بدونها؛ وذلك لقول رسول الله ﷺ: "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ"(١٠٠)، و**لأن الصلاة**: سبب وصول الإنسان لكل خير، وبتمامها تُكّفر خطاياه وذنوبه، يقول رسولنا الكريم ﷺ: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ

[٩٩]) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٩١/٢

[١٠٠]) سنن الترمذي: ٣٦٣/٤، كتاب (الإيمان)، باب (ما جاء في حرمة الصلاة)، جزء من حديث رقم (٢٦١٦)، والحديث حسن صحيح

مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ"(١٠١)، **ولأن الصلاة:** هي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، وبصلاحها تصلح أعماله، وبفسادها تفسد أعماله، **وهي** التي تكبح غرور الإنسان، وتقربه من ربه وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، يقول تعالى: **"إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"** [العنكبوت: ٤٥]، وعليه فمقيم الصلاة حق الإقامة لا يمكن أن يدعّ يتيما، أو أن يسكت على هضم حق مسكين، أو أن يمنع الخير عن المحتاجين، أو يعمل أي فعل من الأفعال المنكرة؛ وبذلك تتحقق له الغاية من تشريع الصلاة وإقامتها.

وعلى الجانب الآخر نجد أن صلاة الذي لا يشعر بآلام الآخرين ومعاناتهم، لا يمكن أن تقام عن قلب خاشع أو ضمير مؤمن، فالذي يستهين بالضعيف وهو يحسه ويعاين ضعفه، يسهل عليه أن يعرض قلبه عن خالقه الذي لا يراه ولا يحسه، والذي يضيّع صلاته، يكون لما سواها أضيع (وإن ظنّ أنه نجا بآليته في أدائها)، والصلاة التي لا تنهى صاحبها عن فعل المنكرات لا قيمة لها؛ لأنها لم تؤثر في تعديل سلوكه؛ وبذلك تتلاشى حسناته ويأتي مفلسا يوم القيامة بسبب ما اقترفه من سيئات، ويؤكد ما سبق قول رسول الله ﷺ: **"إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"**(١٠٢).

ومن رحمة الله تعالى أنه فرض الصلاة عدة مرات في اليوم والليلة؛ لأن العبد يكون خارج الصلاة مهملا لجوارحه، فترتع في مراتع الشهوات والحظوظ، فأراد الله تعالى لعبده أن تجمع كل جوارحه؛ لتأخذ بحظّها من عبوديته، فيسلّم قلبه وبدنه وجوارحه وحواسه وقواه لربّه تعالى، وهو مقبل عليه وواقف بين يديه، بين الحين والآخر؛ "لئلا

---

١٠١) صحيح مسلم: ٢٠٩/١، كتاب (الطهارة)، باب (الصلوات الخمس)، حديث رقم (٢٣٣)
١٠٢) صحيح مسلم: ١٩٩٧/٤، كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم)، جزء من حديث رقم (٢٥٨١)

يطول عليه الأمد فينسى ربَّه، وينقطع عنه بالكلية، فكانت الصلاة من أعظم نعم الله عليه، وأفضل هداياه التي ساقها إليه"(١٠٣).

ولا غرو بعد ذلك أن تؤكد جميع الشرائع السماوية السابقة على أهمية إقامة الصلاة، ومن ذلك قوله تعالى (على لسان إبراهيم عليه السلام): **"رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ"**[إبراهيم:٤٠]؛ وقوله تعالى بعد ذكره لثلة من أنبيائه ورسله: **"وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ"** [الأنبياء: ٧٣]، وهذا وقد كانت التوصية بإقامة الصلاة هي آخر ما وصّى به النبي ﷺ صحابته قبل موته، وذلك لما روي عن علي بن أبي طالب: "كان آخر كلام النبي ﷺ: **"الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"**(١٠٤)، والصلاة هي العبادة الوحيدة التي لا تسقط عن العبد؛ إلا بغياب عقله، وهي قرّة عينٍ النبي ﷺ وللمؤمنين فيه الأسوة الحسنة، ومع ذلك نجد أن المكذبين بالدين يستهينون بأعظم أركان الدّين (وهي الصلاة)، ونجدهم كذلك يستعظمون أدنى أمور الدنيا (وهو الجود بالماعون)؛ وذلك لأنهم لا يعظمون الخالق، ولا يشفقون على المحتاجين من خلقه.

ثانيا: المراءاة

والمراءاة: مصدر من الفعل **راءَى**، ومعناه: أن يُظهِر الإنسانُ من نفسه خلافَ ما هو عليه ليراه الناس(١٠٥)، ويقال: فلان راءَى الناسَ يُرائيهم مراءاة، و**المراءاة** على وزن: مفاعلة، وهي من الإراءة، فالمرائي يعمل ليُرِى الناس عمله، وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به؛ وبذلك يفقد العمل النية الخالصة(١٠٦)، وهذا من جملة ما يفعله المكذبون بالدّين.

والمراءاة في الاصطلاح: "طَلَبُ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِإِيرَائِهِمْ خِصَالَ الخير"(١٠٧)، و**الرياء**: مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة بقصد رؤية الناس

---

١٠٣) شفاء العليل: ٢٢٩/٢

١٠٤) سنن ابن ماجة: ٧/٤، كتاب (الوصايا)، باب (الحثّ على الوصية)، حديث رقم (٢٦٩٨)

١٠٥) راجع: لسان العرب: ٢٩٦/١٤، وانظر كذلك: معجم لغة الفقهاء: ٢٢٨

١٠٦) للمزيد راجع: لسان العرب: ٣٠٢/١٤، وانظر كذلك: التفسير الكبير: ٣٠٥/٣٢

١٠٧) إحياء علوم الدّين: ٢٩٧/٣

لها؛ ليحمدوا صاحبها(١٠٨)، وهو يقوم على اجتهاد المرائي للحصول على إعجاب النّاس وثنائهم في الدنيا الفانية، لا العمل على طاعة الله تعالى وثوابه الدائم في الآخرة.

والمرائي يستحق عقاب المكذّب نفسه وعذابه؛ لأنه لا يريد بعمله وجه الله تعالى؛ كالذي يسهو عن صلاته، ويتباهى بعمله، ويمتنع عن مساعدة غيره(١٠٩)، فكان بذلك مشابها للمكذب بلقاء ربه، الذي لا يرجو ثوابه ولا يغشى عقابه، ومن ثَمّ فمصيرهما واحد في الآخرة، فالمكذب يجحد وجود الله تعالى، والمرائي لو كان يؤمن بالله تعالى وبيوم الحساب ما نافق ولا ارتكب الكبائر.

والرياء مرَض يُصيب القلوب بالزَّيغ والهلاك، وهو من أعظم الآفات الإنسانية، وأكثرها انتشارا، وأسوئها عاقبة، فحسبه أنه يمنع صاحبه من الأجر والمثوبة يوم الدّين؛ وذلك لأنه استهان بمقام المعبود تعالى، واستعمل العبادة لتحقيق أغراض دنيوية دنيئة؛ فتعجل ثواب عمله من الناس في الحياة الدنيا، فكان له ما أراد، وليس له في الآخرة إلا العذاب الأليم، وما أبلغ قوله تعالى: **"مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا"** [الإسراء: ١٨]، والله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، فلا يقبل سبحانه إلا العمل الخالص لوجهه الكريم، يقول تعالى: **"وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّين"** [البينة: ٥]، **أمّا إن أخلص** الإنسان **النية** في عمله قاصدا به وجه الله تعالى، ثم وجد بعد ذلك ثناء على عمله في قلوب الناس؛ فلن يضره ذلك في شيء؛ بل يستبشر بذلك، لما روي عن النبي ﷺ أنه عندما سُئِل عن: **"الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ، فَيُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ! قَالَ: "ذَلِكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ"**(١١٠).

---

١٠٨) للمزيد راجع: إحياء علوم الدّين: ٢٩٧/٣-٢٩٨

١٠٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٤/٢٤

١١٠) سنن ابن ماجة: ٣٠٤/٥، كتاب (الزهد)، باب (الثناء الحسن)، جزء من حديث رقم (٤٢٢٥)، والحديث صحيح الإسناد

* **وقد وردت كلمة** الرياء خمس مرات في القرآن الكريم، ثلاثا منها بصيغة المصدر، ومرتين بصيغة المضارعة، والمواضع التي جاءت فيها كلمة **"الرياء"** في صيغة **المصدر** هي: قوله تعالى: **"كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"** [البقرة ٢٦٤]، وقوله تعالى: **"وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ"** [النساء: ٣٨]، وقوله تعالى: **"وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ"** [الأنفال: ٤٧]، وفي جميع تلك المواضع يحذرنا الله تعالى من ذهاب ثواب الصدقات وسائر الأعمال الصالحة بكثرة المن والأذى، أو بعقد نية تلك الأعمال على رؤية الناس لها؛ لأن ذلك كله يضيع أجرها عند الله تعالى؛ فتكون يوم القيامة كالهباء المنثور؛ لأنها فقدت شرط الإخلاص لله تعالى، والإخلاص شرط لقبول العمل، ومن ثَم فقد مدح الله تعالى المخلصين في نياتهم بقوله: **"إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا"** [الإنسان: ٩]، ومدح المخلِصين يقتضي ذمَّ المرائين، الذين يعملون من أجل أن يراهم الناس، ولا يعملون تقربا إلى الله.

أمّا الموضعان اللتان جاءت فيهما كلمة "الرياء" بصيغة **المضارعة** فهما: قوله تعالى: **"إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا"** [النساء: ١٤٢]، وقوله تعالى: **"الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ"** [الماعون: ٥-٦]، وقد تحدثت الآية الأولى عن مخادعة المنافقين لله تعالى؛ ظنا منهم أن خدعهم هذا سيخفى على الله تعالى، وذكرت أن نفاقهم يجعلهم يتهاونون في أصول العبادات، فلا يقومون إلى الصلاة (التي هي عماد الدّين) إلا في تكاسل وفتور ولا يذكرون الله تعالى إلا قليلا؛ لأنهم يصلون رياء وسمعة، وقد جاءت الآية الثانية في إطار الحديث عن المكذبين بالدّين، وذكرت أن من سماتهم ترك الصلاة بالسهو عنها والمراءاة.

والرياء ينقسم عدة أنواع، من أهمها(١١١):

- **الرياء في العقيدة:** وهو أعظم أنواع الرياء وأشدها ضررا، وفيه يظهر المرائي الإيمان ويبطن الكفر، وهذا هو عين النفاق، الذي يخرج صاحبة من الملة(١١٢)؛ وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، وهؤلاء المنافقون هم الذين حذرنا الله تعالى منهم بقوله: **"هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"** [المنافقون: ٤]، وهم الذين أخبرنا الله تعالى أنهم في الدرك الأسفل من النار؛ وذلك في قوله تعالى: **"إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا"** [النساء: ١٤٥]، ومن هؤلاء منافقو المدينة، الذين ادّعوا الإسلام في عصر الرسول ﷺ؛ ليتوغلوا بين المسلمين للإضرار بهم، والانتفاع من خيراتهم في الوقت ذاته، وعلى رأس هؤلاء المنافقين: **عبد الله بن أبيّ بن سلول**؛ الذي نزلت فيه وفيمَن معه آيات عديدة منها: سورة "المنافقون" وآيات حادثة "الإفك" في سورة "النور".

- **الرياء في العبادة**: وفيه يتظاهر المراؤون أمام الناس بالإيمان والبر، وبممارسة العبادات بخشوع وخضوع؛ ليوهموهم بالصلاح والتدين (وهم في حقيقة أمرهم لا يعظمون أوامر خالقهم، وقلوبهم لاهية عن ذكره، خاوية من إخلاص الطاعة له تعالى)؛ فنجدهم **مثلا:** يطيلون في صلاتهم ويتظاهرون بالخشوع فيها أمام الناس؛ ليُقال(١١٣) عنهم أتقياء، وهم على خلاف ذلك، **كما نجدهم** يتعمدون التصدق وإظهار صدقاتهم ليُقال عنهم كرماء، وهم يقصدون بتلك الصدقات الاختيال والفخر، بدليل أنهم لا يتحرون في إنفاقهم مواضع النفع العام أو الخاص، إنما يتحرون مواطن التعظيم والمدح، وأن بعضهم قد يكون في حقيقة أمره بخيلا على نفسه، أو على أرباب الحقوق المؤكدة عليه: كالزوجة

---

[١١١]) راجع: إحياء علوم الدّين: ٣/٣٠٣-٣١٠، ولمعرفة المزيد حول الرياء والمرائين، راجع: تفسير المنار: ٥/٨١-٨٣

[١١٢]) فالمرائي في العقيدة هو المنافق، وعليه فكل منافق مراء، وليس كل مراء منافق

[١١٣]) والذي يفعل ليقال، يقف أجره على القول في الدنيا، ويوم القيامة يُسحب على وجهه إلى النار، راجع: صحيح مسلم: ٣/١٥١٤، كتاب (الرقاق)، باب (من قاتل للرياء والسمعة استحق النار)، حديث رقم (١٩٠٥).

والأولاد، وفي الوقت ذاته ينفق ببذخ للتفاخر أمام الناس، وقد يتحمل منه الناس هذا الفخر والاختيال مقابل ما يبذله لهم.

ويكمن خطر هؤلاء المرائين في الاستخفاف بالعبادات؛ لدرجة تشعرنا أنهم يهابون الناس من دون الله تعالى، فلا هم يرجون ثواب خالقهم، ولا يخافون من عقابه، هذا وقد توعد الله تعالى كل من يرائي بعبادته؛ ليسمع بها الناس، بكشف ستره وفضح أمره بينهم، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: **"مَنْ سَمَّع سَمَّع اللَّهُ به، ومن يرائي يرائي الله به"**(١١٤).

ولعل هذا النوع من الرياء هو: الشرك الخفي، أو الشرك الأصغر، الذي حذرنا منه الرسول ﷺ ووصفه بأنه: **"أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ"**(١١٥) [وذلك لأنه يقع في العمل من حيث لا يدري به صاحبه، كما لا يدري الإنسان بدبيب النمل]، **وبأن:** شره أخطر على الأمة من خطر المسيح الدجال نفسه؛ وذلك فيما روي عن رسول ﷺ أنه قال لصحابته وهم يتذاكرون المسيح الدجال: **"أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ "قَالَ: قُلْنَا: بَلَى. فَقَالَ: "الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ"**(١١٦)، وقد وصف الرسول ﷺ هذا النوع من الرياء أيضا **بالشرك الأصغر**، وذلك في قوله: **"إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ" قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً"**(١١٧)؛ وبذلك تصبح أعمال المرائين (التي تعبوا فيها) يوم القيامة كالهباء المنثور، فهم لا يحرمون من أجرها فقط؛ بل سيعاقبون عليها؛ لعدم إيمانَهم ومراءاتهم.

---

١١٤) أي: جاهر بعبادته ليسمع الناس، انظر الحديث في: صحيح البخاري: ٢٣٨٣/٥، كتاب (الرقاق)، باب (الرياء والسمعة)، حديث رقم (٦١٣٤)

١١٥) صحيح الأدب المفرد: ٢٦٦، باب (فضل الدعاء)، جزء من حديث رقم (٥٥٤)، والشيء الخفي لا يُعرف إلا بشدة التفقُّد.

١١٦) سنن ابن ماجة: ٢٩١/٥، كتاب (الزهد)، باب (الرياء والسمعة)، حديث رقم (٤٢٠٤)

١١٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣٩/٣٩، كتاب (أحاديث رجال من أصحاب النبي)، باب (حديث محمود بن لبيد)، حديث رقم (٣٢٦٣٠)، والحديث حسن، رجاله رجال الصحيح

- **الرياء في الأقوال والأفعال**: وفيه يتظاهر المراؤون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيذكرون الناس بثواب الله وعقابه مراءاة وخداعا، ويظهرون التأسف على ما فاتهم من الطاعات؛ مدّعين محبة الله تعالى ومحبة رسوله؛ لينالوا حظا في الدنيا، وهم لا يفعلون ما يقولون، وهؤلاء هم المقصودون من قوله تعالى: **"يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ"** [آل عمران: ١٦٧]، وقوله تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ"** [الصف:٢-٣]، وهذا النوع من الرياء يحبط الأعمال الصالحة؛ لتجرؤ أصحابه على الخالق تعالى، وما أجمل قول الحسن البصري: "لَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا عَلِمَ الَّذِي يُفْسِدُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُزَيَّنُ لَهُ مَا هُوَ فِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَغْلِبُهُ الشَّهْوَةُ"(١١٨).

* **ومما تجدر الإشارة إليه** أن: إظهار الفريضة ليس رياء، فمن حق **الفرائض الإظهار**، لما في ذلك من **إعلان** لشعائر الدّين وتعظيمها؛ ولأن **تارك الفرائض** يستحق الذم والمقت، فوجب إماطة التهمة عنه بالإظهار، أمّا **فعل التطوع**: "فحقه أن يخفى، لأنه مما **لا يلام بتركه** ولا تهمة فيه، فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا، وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين، فيثنى عليه بالصلاح"(١١٩)، والله وحده هو الذي يعلم بالنيات، وفضلا عمّا سبق فإن الإخلاص التام في العمل يحتاج إلى جهد كبير لترويض النفس وحملها عليه، فاجتناب الرياء ليس بالأمر السهل، فهو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء، وهذا لا يعني ترك العمل خوفا من أن يدخل فيه الرياء باطّلاع الناس عليه؛ لأن ذلك خطأ ينجم عنه ترك الخير الكثير، وهذا يخالف دعوة ديننا إلى عمل الصالحات، إنما المطلوب منا مجاهدة خاطر الرياء في النفس، وإخلاص نية العمل لله تعالى وحده.

---

[١١٨]) الزهد والرقائق لابن المبارك: ٥٢٨، كتاب (كتاب الزهد)، باب (ذكر الله عز وجل)، حديث رقم (١٥٠٠)

[١١٩]) للمزيد راجع: الكشاف: ٨٠٤/٤

* **وقبل أن أنهي حديثي** عن تلك الصفة المرذولة أودّ الإشارة إلى أهم الأشياء التي تساعدنا على التخلص من تلك الآفة التي تحبط الأعمال الصالحة، والتي من أهمها(١٢٠):

- تقوية الصلة بالله تعالى؛ وذلك بالمسارعة بالتوبة، وكثرة الدعاء والاستغفار، مع الاستعانة بالله تعالى على التخلص من الرياء، فقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه: **"اللهمَّ إني أعوذ بكَّ من شرِّ ما عملت، وشرِّ ما لم أعمل"**(١٢١)، ويقول ابن القيم في أثناء حديثه عن علاج الرياء: "إنّ القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التَّلَف ولا بدَّ؛ وهما: الرّياء، والكبر. فدواء الرّياء بـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، ودواء الكبر بـ {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}"(١٢٢)؛ وذلك لما لقصر العبادة على الله تعالى والاستعانة به من تأثير عظيم في الاستقامة على إخلاص العبادة للخالق وحده، وعدم الالتفات إلى ثناء أحد من خلقه.

- استشعار رقابة الله تعالى في كل وقت وحين؛ لقوله تعالى: **"إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"** [النساء: ١]، فاستشعار الرقابة يولد الخشية من الله تعالى، وإخلاص العمل لوجهه الكريم؛ وبذلك يُخلص العمل من شوائب الرّياء، ولعل هذا ما أشار إليه النبي ﷺ في حديثِ جبريل عليه السلام، عندما سأله عن الإحسان، فقال: **"أن تعبُدَ الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكُن تراه، فإنَّه يراك"**(١٢٣).

- المجاهدة الدائمة للنفس، ومنعها من التظاهر أو التفاخر بين الناس بالأقوال أو بالأعمال، وإرغامها على استئصال لذة المحمدة وحب المنزلة والجاه، وتحمل المشاق في سبيل ذلك، فالجنة محفوفة بالمكاره، ومن جاهد نفسه عن هواها، رزقه الله تعالى

---

١٢٠) للمزيد، راجع ما كتبه الغزالي عن: (علاج الرياء) في كتابه: إحياء علوم الدّين: ٣١٠/٣، وراجع كذلك: الجامع لأحكام القرآن: ١٨٢/٥

١٢١) صحيح مسلم: ٢٠٨٥/٤، كتاب (العلم)، باب (التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل)، حديث رقم (٢٧١٦)

١٢٢) مدارج السالكين: ٨٧/١

١٢٣) صحيح البخاري: ٢٧/١-٢٨، كتاب (الإيمان)، باب (سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة)، جزء من حديث رقم (٥٠)

الإخلاص في العمل والهداية؛ لقوله تعالى: **"وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا"** [العنكبوت: ٦٩].

- الحِرْص على كِتْمان العمل وإخفائه، ولا سيما السنن الزائدة على الفرائض، فكل عمل اطّلع عليه الناس عرضة للرياء، أما من أطلَع الله عليه خلقه، وكان صاحبه لا يحب اطلاعهم عليه؛ فذلك فضل من الله تعالى وبشرى لصاحبه كما ذكرت.

ثالثا: الاستهزاء بآيات الله تعالى ورسله

الاستهزاء لغة: مصدر من الفعل "هزأ"، والهزء والهزؤ: السخرية، يُقال: هزئ به ومنه وتهزأ واستهزأ به: سخر منه(١٢٤)، والهُزْءُ: مزح في خفية، والاستهزاء: ارتياد الهزؤ بالاستخفاف أو بالسخرية من شخص ما أو شيء ما(١٢٥).

والاستهزاء بآيات الله تعالى ورسله سمة من سمات الكافرين المكذبين، وقد توعدهم المولى تعالى بأن تحبط أعمالهم وبالعذاب في غير آية كريمة، ومن ذلك قوله تعالى: **"أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا"** [الكهف: ١٠٥-١٠٦]، وقوله تعالى: **"فَقَدْ كذّبوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"** [الشعراء: ٦]، وقوله تعالى: **"وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ"**[الجاثية: ٧ -٩].

ولا شك أن الباعث على الاستهزاء هو **الكبر**، فالمستهزئ بغيره يرى فضل نفسه بعين الرضا، ويرى نقص غيره بعين الاحتقار؛ لذا يستهزئ دائما من غيره(١٢٦)، و**الكبر** سمة من سمات الكافرين، ويؤكد ذلك استهزاء فرعون من موسى عليه السلام، يقول الله تعالى على لسان فرعون الكافر: **"أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**

---

١٢٤) انظر: لسان العرب: ١٨٣/١

١٢٥) انظر: المفردات في غريب القرآن: ٨٤١، وانظر كذلك: معجم الفروق اللغوية: ٢٧٥

١٢٦) للمزيد، راجع: غذاء الألباب: ١/ ١٣١-١٣٤

وَلا يَكادُ يُبِينُ" [الزخرف: ٥٢]، وقد كان **باعث** فرعون على هذا الاستهزاء: الكبر والعناد، ومن ثَمّ فعلى من يجد في نفسه شيئا من هذا الكبر، أن يبادر بالتوبة والاستغفار؛ ليتخلص من إثمه ووزره؛ وليعمر قلبه بالإيمان، والتعظيم للخالق وحده قبل فوات الآوان.

والمستهزئون بالدين، الذين لم يقدروا الله حق قدره، المتجرؤون على الله تعالى أو على آياته سينالون عذاب الله تعالى وعقابه الأليم يوم القيامة؛ إن تمادوا وأصروا على غيّهم، ولن يجدوا من ينصرهم أو يغيثهم من هذا العذاب، جزاء كفرهم وتكذيبهم واستهزائهم بآياته تعالى وبرسله(١٢٧)، ف**الجرؤ على الاستهزاء** بشرع الله تعالى أو بآية من آياته، يُعد ناقضا من نواقض الإيمان، وكبيرة من **الكبائر** التي تكفر صاحبها (إن لم يتب)، ولو كان ذلك على سبيل المزح؛ إذ أجمع علماء الدّين على أن: "كل من استهزأ بالله تعالى، أو بملك من الملائكة، أو بنبي من الأنبياء عليهم السلام، أو بآية من القرآن الكريم، أو بفريضة من فرائض الدّين (فهي كلها آيات الله تعالى) بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر"(١٢٨)؛ ذلك لأن أصل الدّين مبني على تعظيم الله تعالى، وتعظيم ملائكته وتعظيم رسله وآياته، والاستهزاء بأي شيء ممّا سبق يكون منافيا لهذا الأصل ومناقضا له أشد المناقضة(١٢٩)، فلنحفظ ألسنتنا عن ذلك، ولا ننسى أن أكثر الخطايا المهلكة تحدث من حصائد الألسن؛ لذا حذرنا رسولنا الكريم من خطورة الكلمة الخبيثة التي تهوى بصاحبها في النار، ومن ذلك قوله ﷺ: **"وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يهوي بها في جهنم"**(١٣٠)، وإن كان الله تعالى نهانا عن الاستهزاء من المخلوقين أو السخرية من أحد منهم، وحكم على من يفعل ذلك (ولم

---

١٢٧) لمعرفة المزيد عن حال المستهزئين يوم القيامة، راجع: جامع البيان: ١٦٥/٩-١٦٦، وراجع كذلك: مفاتيح الغيب: ٤٨٧/١٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٩٠/١١

١٢٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٤٢/٣

١٢٩) انظر: تفسير السعدي: ٣٤٢-٣٤٣

١٣٠) صحيح البخاري: ٢٣٧٧/٥، كتاب (الرقاق)، باب (حفظ اللسان)، جزء من حديث رقم (٦١١٣)

يتب) بأنه من الظالمين، فما بالنا بمن لم يقدر الله تعالى حق قدره، فيستهزئ بالخالق تعالى أو بآية من آياته؟!!!

* **والاستهزاء بالدّين قد يأتي** باللفظ الصريح المباشر؛ كأن يقول المستهزئ **صراحة:** إن أحكام الدّين كانت تصلح للبدو قديما، ولا تصلح اليوم في عصر التمدن والحضارة، **أو أن يستهزئ** صراحة ببعض شرائع الدّين كتعدد الزوجات، **أو أن يستهزئ** بالزي الإسلامي للمرأة المسلمة، وينكر فرضية الحجاب؛ مدّعيا أن في ذلك إهانة للمرأة وتعدٍ على حريتها، **أو أن يستهزئ** بحدود الشريعة الإسلامية، ويصفها بالقسوة والوحشية، إلى غير ذلك من العبارات الصريحة التي تحمل استهزاء مباشرا بالدّين أو ببعض أحكامه، وهذا بدوره يؤدي إلى الكفر البواح؛ إن أصر صاحبه عليه ولم يتب.

وقد يأتي الاستهزاء بصورة غير صريحة، أي: لا يكون بالكلام المباشر؛ لكنه يُفهم من الإيحاءات: كالغمز واللمز، أو التشدق عند تلاوة القرآن الكريم، أو التلفظ بعبارات ساخرة من الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، أو برسم بعض الصور الساخرة للتهكم على شخص الرسول ﷺ، أو رسم صور توحي بالسخرية من بعض شرائع الدّين كمن رسم صورة (ديك وتتبعه أربع دجاجات)؛ مستهزأ من تشريع تعدد الزوجات، أو كمن يرسم صورا يسخر فيها من اللباس الشرعي للمسلمة ويشبهه بالخيمة، أو ب**الاستهزاء** ممن يتحدث باللغة العربية الفصحى، التي هي لغة القرآن الكريم، إلى غير ذلك أشكال الاستهزاء غير الصريح، الذي يدل على الكره الشديد للدّين القويم، الذي حرر الناس من العبودية لغير الله الواحد الأحد.

وأعداء الدّين القويم لا يريدون ذلك؛ لأن هذا التحرر سيحرمهم من اتباع أهوائهم وشهواتهم، الأمر الذي جعلهم يستخدمون سلاح الاستهزاء لمعارضة هذا الدّين وأهله، فكما استهزأ الكافرون بالرسول قديما وآذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون،

وكما استهزأ به المنافقون بعد الهجرة(١٣١)، يتجدد الاستهزاء بالدّين من أعدائه في كل عصر بأشكال مختلفة، تفوح كلها بالكفر والتطاول على أصول ديننا وعلى شرعنا القويم؛ ليشوهوا صورة الإسلام الناصعة، وينشروا الضباب على وجهه المشرق، وأنى لهم ذلك، فالله تعالى مُتِم نوره ولو كره الكافرون.

ومما يؤسف عليه أن نجد من يخوض مع هؤلاء المستهزئين أو يساندهم من المسلمين أنفسهم، وهؤلاء جُرمهم عظيم؛ وإن لم يتعمدوا الاستهزاء، **وجرمهم أعظم** إن كانوا يتعمدونه، وفي الحالتين يحيق بالمستهزئين عذاب من كفر بعد إيمانه؛ وذلك لقوله تعالى: **"وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ"** [التوبة: ٦٥-٦٦]، وقد روي في **سبب نزول** الآية السابقة أن: رسول الله ﷺ كان **"**فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، إذ قالوا: أيرجو هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَفْتَحَ قُصُورَ الشَّامِ وحصونها هيهات هَيْهَاتَ لَهُ ذَلِكَ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ نبي الله ﷺ: احْبِسُوا عَلَيَّ الرَّكْبَ، فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ**"**(١٣٢)، يقول ابن العربي معلقا على موقف هؤلاء المستهزئين في غزوة تبوك: **"**لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدا أو هزلا، وهو **كيفما كان كفر**؛ فإن الهزل بالكفر كفر، لا خلاف فيه بين الأمة**"**(١٣٣)، فالدّين مقدس يحرم الهزل فيه؛ لذا حكم الله تعالى على هؤلاء المستهزئين بالكفر بعد أن كانوا في عداد المؤمنين، وكذلك الحال بالنسبة لكل من سبّ الرسول ﷺ، أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه، وقد كان الرسول ﷺ لا يقبل عذراً لمستهزئ، ولا يلتفت لحجة ساخر ضاحك على شدة رأفته ورحمته.

---

١٣١) ومن أمثلة ذلك، ما فعله المنافق زيد بن اللصيت عندما استهزأ من الرسول ﷺ عندما ضاعت ناقته، وهو في طريقة من غزوة تبوك، حيث قال: **"**أليس يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟**"**، ينظر كتاب: المغازي: ١٠١٠/٣

١٣٢) أسباب نزول القرآن: ٢٥٥

١٣٣) أحكام القرآن: ٥٤٣/٢

وعليه فيجب على كل من يسمع مثل أقوال هؤلاء المستهزئين تنبيههم أولا إلى عظم ذنبهم، ويكشف لهم عن عواره وخطورته، فإن تعذر عليه ذلك، أو أصروا على استهزائهم، وجبت عليه مقاطعتهم وعدم مجالستهم على ما هم عليه، إلا إن تكلموا في حديث آخر غيره، ومن يسكت عنهم ويجالسهم فهو مثلهم في الإثم؛ فالراضي عن المعصية كالفاعل لها، وهذا هو الحكم في كل مُحدِث في الدّين، وفي كل بدعة يخاض فيها إلى يوم القيامة(١٣٤)؛ لقوله تعالى: **"وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا"** [النساء: ١٤٠]، وقد **استدل** الرازي من الآية السابقة على "أن من رضي بالكفر فهو كافر، ومن رضي بمنكر يراه وخالط أهله، وإن لم يباشر كان في الإثم بمنزلة المباشر"(١٣٥).

ومن ثَمّ فيجب على حكام المسلمين وعلمائهم الأخذ على أيدي أعداء الدّين، الذين يطعنون في كتاب الله تعالى وتشريعاته وأحكامِه، ومنعهم من نشر أباطيلهم بين المسلمين؛ حتى لا يلبثوا عليهم دينهم، وعلى الجميع مقاطعتهم اجتماعيا وماديا وسياسيا؛ إلى أن يرجعوا عن استهزائهم؛ لما في هذا الاستهزاء من أضرار عديدة على الأفراد والمجتمعات، كانتشار الفساد نتيجة التهوين من شأن الدّين، وقلة الغيرة على حرماته، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف المسلمين، وتجرؤ غير المسلمين على النيل من شريعتهم.

****

* وفي نهاية بحثي أودّ التأكيد على أن المكذب بالدّين، شخص اجتمعت في تعاملاته خبائث الصفات، فهو الذي يتعمد إيذاء اليتامى، ويتعمد أكل الحقوق المفروضة للضعفاء، ويمتنع عن مساعدة المحتاجين، وهو نفسه المرائي في تعاملاته مع خالقه، المفرّط في أداء عباداته، المستهزئ بشرائع الله تعالى وآياته، أي هو الذي يتعمد التقصير في حقوق المخلوقين، ويتعمد العبث بحقوق الخالق تعالى وتعظيمه؛ وبذلك يكتمل شقاؤه في الدنيا، ويعظم عذابه في الآخرة.

---

١٣٤) للمزيد، راجع: جامع البيان: ٦٠٢/٧-٦٠٤، وراجع كذلك: معالم التنزيل: ٧١٤/١، والجامع لأحكام القرآن: ٤١٧/٥

١٣٥) مفاتيح الغيب: ٢٤٧/١١

الخاتمـــة

وفي نهاية جولتي مع بحثي، لا يسعني بعد حمد الله تعالى إلا أن أسجل أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات، **وهي:**

١- ربط السلوك بالعقيدة الصحيحة يُعزز في الإنسان القيم الأخلاقيّة التي تهديه إلى طريق الحق وأعمال الخير؛ وبذلك ينصلح حال الأفراد وترتقي المجتمعات.

٢- التكذيب بيوم الدّين أعظم الجرائم على الإطلاق، وهو أساس كل ذنب عظيم، ومن يتصف بصفات المكذّبين يستحق جزاءهم؛ لأنه يعبث بحقوق الخالق، ويتعمد التقصير في حقوق المخلوقين.

٣- عذاب المكذب بالدّين أليم مهين مستمر؛ لإذلاله وتحقيره، على عكس عقاب المؤمن العاصي فهو غير مهين؛ لأن المراد منه التطهير من الذنب، ثم يعقبه عفو وتكريم بدخول الجنة.

٤- الخوض مع الخائضين من أعظم الذنوب إثما يوم القيامة، فالراضي عن المعصية كالفاعل لها، وهذا الحكم ينطبق على كل مُحدِث في الدّين، وعلى كل بدعة يخاض فيها إلى يوم القيامة.

٥- المحافظة على مشاعر اليتيم وأمواله مسئولية المجتمع كله، فحقّ اليتيم لا يجب السكوت عنه، وإكرامه واجب ديني واجتماعي، ومن يتخل عن تلك المسئولية يُعد من المكذبين بالدّين؛ لأنه تخلق بأخلاقهم.

٦- ينحدر الإجرام الكامن في النفوس من فقدان الرحمة؛ لذا يروض الإسلام أتباعه على التكافل والتراحم؛ حتى لا تكثر سُبل الغي، وينتشر الفساد في المجتمع.

٧- للمجاعات أضرار خطيرة على النفس والعرض والممتلكات، ومن ثَمّ تتجلى لنا أهمية الحثّ على مشاركة النعم مع المحرومين، ولا سيما نعمة الطعام؛ لأنه أساس الحاجات التي يقوم عليها وجود الإنسان.

٨- ردّ السائل المحتاج دون حاجته من مساوئ الأخلاق؛ وبخاصة إن كانت تلك الحاجة من المنافع اليسيرة، التي لا يُضَر صاحبها إن جاد بها.

٩- التدين المتصنع والتظاهر بالعبادة، أمر يرفضه الدّين، فالإسلام ليس دين طقوس ومظاهر مجردة من الإيمان الداخلي.

١٠- المكذبون يستهينون بأعظم أركان الدّين، ويستعظمون أدنى أمور الدنيا، فهم لا يعظمون خالقهم، ولا يرحمون المحتاجين من خلقه.

١١- الرياء مرَض يُصيب القلوب بالزَّيغ والهلاك، وهو يمنع صاحبه من الأجر والمثوبة يوم الدّين؛ لأنه يستهين بمقام المعبود، ويتعجل ثواب عمله من العبيد.

١٢- الفرائض من حقها الإظهار، لما في ذلك من تعظيم للدّين وإعلان لشعائره، أمّا أفعال التطوع فيفضل إخفاءها، إلا إن قُصد من إظهارها الحثّ على فعلها.

١٣- إخلاص النية في العمل، لا يعني ترك العمل خوفا من أن يدخله الرياء؛ لأن ذلك يفوت على صاحبه الخير الكثير، والله عليم بالنيات.

١٤- الجرؤ على الاستهزاء بشرع الله تعالى أو بآية من آياته كبيرة تكفر صاحبها؛ وإن كان مازحا، لما في ذلك من تعدٍ على أصل الدّين المبني على تعظيم الخالق تعالى وآياته.

١٥- التسامح مع المستهزئين يساعد على انتشار الفساد، فالتهوين من شأن الدّين، وقلة الغيرة على حرماته، يؤدي إلى ضعف المسلمين، ويشجع غيرهم على النيل من شريعتهم.

ومما تجدر التوصية به:

- إقامة المزيد من المؤتمرات والندوات التي توعي الأفراد والحكومات بضرورة المحافظة على حقوق الأيتام والضعفاء، والتحذير من عواقب تضييعهما، وسنّ العقوبات الرادعة للمحافظة على حقوقهم؛ حتى لا يقعوا تحت الدّع، مع التوصية بتطبيق تلك العقوبات بلا تهاون على المعتدين.

- الدعوة إلى إقامة مؤسسات أو جمعيات خيرية تتولى توفير الحاجات الأساسية التي يحتاج إليها الفقراء عادة، ولا يستطيعون شراءها، وإعارتها لهم بأسعار رمزية، كنوع من أنواع التكافل الاجتماعي وترشيد الاستهلاك في الوقت ذاته.
- ضرورة عمل ندوات ومحاضرات لتصحيح مفهوم الناس عن التدين، والتأكيد على أن التدين الحقيقي هو الذي يظهر على سلوك صاحبه وجوارحه وتعاملاته مع الآخرين، فالدين القويم هو الذي يحفظ حقوق الأفراد ويحافظ على أمن المجتمعات.
- وجوب مقاطعة كل من يستهزئ بالدّين أو يطعن في أحد تشريعاته أو آياته، والأخذ على أيديهم ومنعهم من نشر أباطيلهم بين المسلمين؛ حتى لا يلبثوا عليهم دينهم.

* والله أسأل أن يجعلنا من المتقين، وأن يجنبنا الوقوع في كل ما حُرّم علينا في الكتاب المبين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. نجلاء العدلي

ثبت المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي المعافري المالكي (٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الثالثة (١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م).

٢. إحياء علوم الدّين، لأبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ -٢٠٠١م).

٣. الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ -١٩٨٩م).

٤. أسباب نزول القرآن، للواحدي (٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١١هـ).

٥. الإنسان والأديان دراسة مقارنة، د. محمد كمال جعفر، مكتبة المهديين، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ -١٩٨٥م).

٦. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ) .

٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادى (٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١٤١٦هـ -١٩٩٦م).

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي(١٢٠٥هـ)، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (١٣٨٥-١٤٢٢هـ) = (١٩٦٥ -٢٠٠١ م).

٩. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى (١٩٨٤م).

١٠. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفورى (١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ -١٩٩٠م).

١١. التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (١٤١٩هـ)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة (١٩٩٠م).
١٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى (١٩٩٠م).
١٣. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة (بدون تاريخ).
١٤. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).
١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان= تفسير السعدي، للشيخ عبد الرحمن السعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م).
١٦. جامع البيان في تأويل القرآن= تفسير الطبري، لمحمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ -٢٠٠١م).
١٧. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، لأبي عيسى الترمذي(٢٧٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٦م).
١٨. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ -١٩٦٤م).
١٩. الجمع بين الصحيحين، للإشبيلي (٥٨٢هـ)، اعتنى به: حمد بن محمد الغماس، وقدّم له: الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ -١٩٩٩م).
٢٠. جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، للسيوطي (٩١١ هـ)، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج وآخرون، مكتبة الأزهر الشريف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية (١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م).

٢١. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٢٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدّين الألوسي (١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).
٢٣. الزهد والرقائق لابن المبارك، من رواية الحسين المروزي (وملحق بآخره زيادات من رواية نعيم بن حماد)، لعبد الله بن المبارك المروزي (١٨١هـ)، تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ).
٢٤. سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله ابن ماجة القزويني (٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م).
٢٥. سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م).
٢٦. السيرة النبوية من البداية والنهاية، لابن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة: عيسى البابي الحلبي، القاهرة (١٣٩٥هـ -١٩٧٦م).
٢٧. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: زاهر بن سالم بَلفقيه، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير، وأحمد حاج عثمان، دار عطاءات العلم، الرياض، الطبعة الثانية (١٤٤١ هـ -٢٠١٩م).
٢٨. صحيح الأدب المفرد، للإمام البخاري(٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدّين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة (١٤١٨هـ -١٩٩٧م).
٢٩. صحيح البخاري، لأبي عبد الله إسماعيل البخاري(٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دار اليمامة)، دمشق، الطبعة الخامسة (١٤١٤هـ -١٩٩٣م).
٣٠. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ -١٩٩٤م).

٣١. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لشهاب الدّين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ -١٩٩٦م).
٣٢. فتح القدير، للشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
٣٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري (٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤٣١هـ)
٣٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدّين المناوي (١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ).
٣٥. القاموس المحيط، للفيروزآبادى (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة (١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م).
٣٦. كتاب الأموال، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم (٢٢٤هـ)، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر. – بيروت (بدون تاريخ).
٣٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).
٣٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ).
٣٩. لسان العرب، لابن منظور (٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).
٤٠. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ -١٩٩٨م).
٤١. المحصول، لفخر الدّين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ -١٩٩٧م).

٤٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
٤٣. مدارج السالكين في منازل السائرين، لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي وآخرين، دار عطاءات العلم (الرياض)، ودار ابن حزم (بيروت)، الطبعة الثانية (١٤٤١ هـ -٢٠١٩م).
٤٤. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في آماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١١هـ -١٩٩٠م).
٤٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ -٢٠٠١م).
٤٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لأبي محمد الحسين البغوي(٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).
٤٧. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ -١٩٨٨م).
٤٨. معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).
٤٩. معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ -١٩٨٨م).
٥٠. المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، إعداد: محمد بسام رشدي الزين، وإشراف: محمد عدنان سالم، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
٥١. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ -١٩٧٩م).

٥٢. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرين، دار الدعوة، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ).

٥٣. المغازي، للواقدي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ -١٩٨٩م).

٥٤. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لفخر الدّين الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ).

٥٥. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).

٥٦. المنهاج في شعب الإيمان، للحسين بن الحسن أبو عبد الله الحَلِيمي (٤٠٣هـ)، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ -١٩٧٩م).

٥٧. الموسوعة الفقهية الكويتية صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ).

٥٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرازق غالب المهدي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ -١٩٩٥م).

٥٩. وظيفة الدّين في الحياة وحاجة الناس إليه، د. محمد الزحيلي، طبعة خاصة بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دمشق (١٤١١هـ-١٩٩١م).

المواقع الالكترونية:

تقرير وكالة نيو ترك بوست الإخبارية -https://newturkpost.com/news/79229- عن الأيتام في العالم ٢٠٢٠م

-https://www.alarabiya.net/arab-and-world/egypt/2020/01/29/

- https://www.albayan.ae/varieties/2022-09-01-1.4505773

-https://www.albawabhnews.com/2462655

-https://ar.wikipedia.org

-https://www.swissinfo.ch

-https://www.emaratalyoum.com/local-section/other/2010-08-13-1.278350